المبحث الثالث:
التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه

نحن أمام حزب كبير وجماهيري يعتمد خطاباً مدنيا وسياسيا **ولكنه يحمل رؤية تغيير شاملة يمكننا وصفها بالجذرية أو الراديكالية عبر أدوات سياسية ليست راديكالية أو جذرية**، حزب الرفاه يعمل في سياق النظام السياسي التركي ووفق قواعد اللعبة السياسية ولكنه يحمل رؤية لا تهدف فقط إلي تغيير بعض جوانب الحياة وإنما لديه رؤية تغيير شاملة لإعادة المجتمع وفق صبغة جديدة هي صبغة " الملي جوروش " عبر برنامج " النظام العادل " الذي هو أطروحة اقتصادية بالأساس تنطلق من أسس إسلامية مرجعيتها الفقه الإسلامي مثل مبدأ رفض الربا، ورفض أن تكون النقود أداة غير محايدة في إدارة الاقتصاد وأن يكون قرض " السلم " - بفتح اللام بديلاً للقروض الربوية، كما أن الجوانب التربوية المعنوية والأخلاقية والإنسان الصالح والفريق المؤمن هي الضمانات لتنفيذ برنامج " النظام العادل " ومن ثم فنحن أمام حزب برنامجه إسلامي ورؤاه التغييرية شاملة.

أولا: الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه:

المعلومات تشير إلي أن عدد أعضاء الرفاه المنتسبين إليه والمشاركين فيه يبلغون 4 مليون نسمة، وأشارت نتائج التصويت في الانتخابات البرلمانية الأخيرة له عام 1995 م إلي أن أكثر من 6 مليون صوت منحت له وكما هو معلوم فإن التواجد الحزبي للرفاه كان بين جميع الشرائح والمناطق للشعب التركي والتساؤل هنا يثور حول " التنظيم "

الذي كان يدير هذا الحزب الكبير.

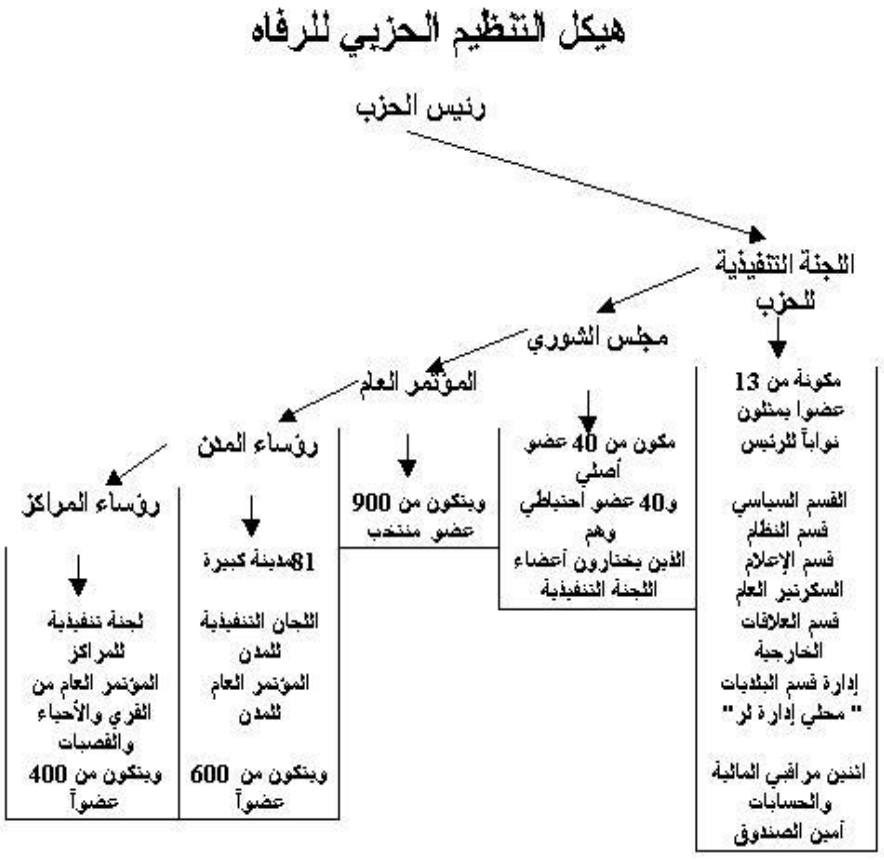

شكل يوضح الهيكل التنظيمي للرفاه تم تصميمه من قبل الباحث

وكما قال لنا أحد الناشطين في الحزب[1] فإن تواجد " حزب الرفاه " القوي في كل تركيا جعلهم قادرين علي حماية الصناديق والعملية الانتخابية حيث وضع منظمو الحزب هدفاً أمامهم وهو أن تكون عضوية

(1) هذا الناشط هو حسن بتماز وهو يتولي اليوم مسئولية نائب رئيس التنظيم في حزب السعادة وندين له بفضل توضيحه لنا الهيكل التنظيمي لحزب الرفاه وهو ذكر لنا أن المؤتمر العام للحزب يكون ضعف عدد نواب البرلمان، وعدد نواب البرلمان في فترة الرفاه كان 450 ثم صار 550 وحزب السعادة اليوم له نفس الهيكل ولكن مؤتمره العام 1100 عضو.

الحــزب 10/1 من أصوات كل صندوق، وأثناء الانتخابات كان يتابع الصندوق الواحد خمسة أعضاء من الحزب قائدهم يسمي "باش مشاهد" ومعاونوه يطلق عليهم "مشاهدين".

- **للحزب جريدة يومية اسمها " الملي غازته " وهي التي تعبر عن " الفكر الملي** " وكما سنري - فيما بعد فإنها تمثل أحد أهم مصادر تكوين الثقافة والوعي لدي المنتمين "لحزب الرفاه" إلي حد أن أحد مسئولي التنظيم في الحزب ذكر لنا أنها إجبارية علي كل منتمي للحزب أن يقرأها ويتابع ما فيها من أفكار وتحليلات عن تركيا، وأصدر الحزب أيضاً جريدة "يني دور" أي "العهد الجديد" بمعني التوجه الجديد للحركة الإسلامية في تركيا نحو التواجد السياسي عبر الطريق الديموقراطي وتربي في هذه الجريدة الكادر الأدبي الذي قاد الحركة الأدبية ذات التوجه الإسلامي في تركيا مثل "علي نار ومصطفي مياس أوغلو وحسن آق آي" وأصدر "مصطفي مياس أوغلو" مجلة أدبية بعنوان "سدير" ثم حولية أدبية بعنوان "صفة" [1] أراد بها بناء جيل أدبي علي مبادئ الملي جوروش" فالأدب والأدباء كانوا أحد أهم الأدوات التي عبرت عن مقاومة التيار الإسلامي للتيارات العلمانية

- " **وقف الشباب الملي "** Milli Genclik Vakifi وهذا الوقف يضم بين جنباته الشباب الذي يتبني فكر "الملي جوروش" وهو ينظم رحلات وجولات ويقوم أتباعه بالمظاهرات، وكما قال لنا أحد المنتسبين للوقف فإن تركيا بها 81 جامعة منها 6 في قبرص و15 جامعة خاصة ويوجد في

(1) محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، السياسة الدولية، يناير 1998، ع 131، ص 133.

جميع الجامعات ممثلين لوقف الشباب الملي باستثناء جامعتين أو ثلاثة والاتحادات الطلابية في الجامعات والثانويات تمثل فكر " الملي جوروش " [2] داخل ثلاثين منها وفي الثانويات يوجد وكذلك بين الفتيات والبنات، وتنتشر مراكز الوقف في مدن عدة في تركيا أبرزها " قونية " التي يوجد بها مبني ضخم لوقف " الشباب الملي " المنتشر بين جميع طلبة المدارس من الإعدادية وحتي الجامعة وله موقع علي الشبكة بعنوان www.spgenclik.org.tr وهو اليوم يعبر عن حزب السعادة.

- **الموسياد** MUSIAD **وهو اتحاد الغرف التجارية ورجال الأعمال المسلمين المستقلين** والرفاه هو الذي شكلها كتعبير عن الوجه الاقتصادي للحركة السياسية التي يمثلها " حزب الرفاه "، خاصة وأن الجانب الاقتصادي مثل القلب والمركز من برنامج الحزب والذي أطلق عليه " النظام العادل "، **فالرفاه كان يري أن التغيير الاقتصادي هو المقدمة لكل مشروعه التغييري الشامل** والذي يعبر عنه " الملي جوروش "، والموسياد هو تعبير عن صعود " رأس المال الإسلامي " في الحياة التركية مع أوائل الثمانينيات وهو تعبير عن التحول في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لتركيا نحو اقتحام الإسلاميين لمراكز التأثير في الحياة التركية خاصة إذا علمنا أن جمعية رجال الأعمال والصناعة التركية (وكلاء الشركات العالمية) المعروفة باسم TUSIAD هي أحد أهم

(2) قمنا بزيارة مبني وقف الشباب الملي في قونية والتقينا الشباب من مستويات دراسية متعددة من الإعدادية والمتوسطة وحتي الجامعة حيث يتعلمون القرآن والفكر الملي ويعبرون عن وعي سياسي وإسلامي ثاقب. وهناك كتاب صغير مهم حصلنا عليه يمثل وثيقة لتربية الشباب الملي باللغة العربية راجع: مصطفي محمد الطحان، دور الطالب المسلم في إعادة بناء الأمة، مؤتمر الشباب المسلمين للتعاون الثقافي، تركيا: بورصة، أغسطس 2005.

أجنحة التأثير علي صناعة القرار السياسي في تركيا[1] بما تملكه من صحافة ووسائل إعلام وعلاقات قوية مع العسكر والعلمانيين.

ومن ثم يمكن تصور أن " الموسياد " **هو تعبير عن محاولة تحجيم التأثير العلماني في مكونات صناعة القرار السياسي التركي ومحاولة إيجاد مساحة للقوي الاقتصادية الإسلامية** ويضم " الموسياد " عشرة آلاف شركة إسلامية متنوعة النشاطات وعدد أعضائه ثلاثة آلاف عضو[1]، وعقد عام 1997م مؤتمراً دوليا ومعرضاً تجاريا شارك فيه اقتصاديون ورجال أعمال وشركات من أكثر من خمسين دولة، وله موقع علي الشبكة وعنوانه www.musiad.org.tr وهناك أيضاً " جمعية رجال الأعمال في الأناضول " أو " أسود الأناضول لاتحاد العمال " ASKON ولها موقع علي الشبكة بعنوان www.askon.org.tr وهي تجمع يعبر عن أكثر من ألف عضو يمثلون نقابات وشركات وتجمعات اقتصادية كبيرة في منطقة الأناضول، **وتشير المعلومات إلي أن نقابة عمال اسطنبول** ITO **أصبحت بيد الإسلاميين في سياق التحولات الاجتماعية والاقتصادية ناحية الإسلام.**

(1) تأسست جمعية رجال الصناعة والأعمال في تركيا TUSIAD في عام 1971 م من جانب بعض رجال الصناعة البارزين ويتبعها مركز أبحاث نشط ولها علاقة وثيقة مع الحكومة ومراكز صناعة القرار ومع دوائر الأعمال الدولية، وحتي عام 1987 م اعتبرت أحد مصادر العون غير الرسمي للحكومة التركية في تحديد أهدافها الاقتصادية عن طريق الدراسات والتقارير بشأن الاقتصاد التركي، ومنذ عام 1987 م نظرت حكومة " أوزال " إلي تقاريرها بعين الشك وحدث خلاف بينها بسبب انتقاداتها الحادة للحكومة وراجع، جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية التركية، م. س. ذ، ص 116.

(1) عن هذه الأعداد نفس المرجع، ص 290. وأيضا محمد حرب، آليات الحركة الإسلامية في تركيا، م. س. ذ، ص 135 وهو يشير إلي ارتباطه بالاتحاد الدولي لرجال الأعمال المسلمين I.B.F الذي تأسس عام 1995 في باكستان ثم انتقل إلي اسطنبول وارتبط بالموساد.

- مركز للدراسات والأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية والسياسية ويطلق عليه ESAM ويقوم المركز بعمل دراسات وأبحاث وعمل ندوات وتقارير عن الأوضاع التي يهتم بها الحزب في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأحوال العالم وفي العلاقات الدولية.

- وسائل إعلام مرئية ومسموعة أهمها " القناة السابعة " قنال يدي " وهي تقدم خدمة إعلامية مرئية للشعب التركي في كل أنحاء تركيا وفق رؤي " حزب الرفاه " وهي تغطي أخبار الحزب واجتماعاته ولقاءاته مع الجماهير، وتتابع بشكل عام أداءه، واهتمت هذه القناة بتوصيل صوت " حزب الرفاه " إلي العالم العربي عن طريق بثها لنشرة في منتصف الليل تذيع أخبار تركيا للعالم العربي باللغة العربية، وللحزب إذاعة أيضا اسمها " مرمرة " - إف - إم. وله قنوات تلفزيونية محلية مثل (KON TV) وقناة (SELAM TV) [1].

- حركة " الملي جوروش " للأتراك الموجودين خارج تركيا (دياسبورا الملي جوروش)، وقد تأسست في ألمانيا منذ عام 1974 م وقد فكر في تأسيسها " أربكان " وقد بدأت بالتجمع حول الصلاة والاجتماع في مكان واحد ثم تأسست جمعية باسم " جمعية الأتراك لبناء وتعمير المساجد " ووفق المعلومات التي استقيناها من أحد أعضاء " الملي جوروش " في ألمانيا فهو يقدر أن عدد الأعضاء الذين يؤيدون " الملي جوروش " يبلغون نصف مليون (500 ألف) منهم 20 ألف يدفعون كل شهر 10 يورو " للملي جوروش "، ومركز التجمع الملي في مدينة " كولون " ومن بين هذا التجمع 15 ألف يحق لهم التصويت في تركيا،

(1) محمد حرب، نفس المرجع، ص 134.

ومجمل من يصوت للرفاه 30 ألف وهم يعملون لمدة شهر أو شهرين لصالح الحزب، وحسب هذا المصدر فإن " الملي جوروش " تنتشر في 15 منطقة بألمانيا وفي منطقتين بهولندا، وفي منطقة واحدة بسويسرا، وبمنطقتين بالنمسا وبأربع مناطق بفرنسا، ويحج من هؤلاء كل عام خمسة آلاف حاج[2].

- **مجموعة اتحادات للمهنيين مثل اتحاد الحقوقيين** واسمه " حودر " HUDER وقد أسسه " شوكت قازان " وزير العدل في حكومة " الرفاه " عام 1996 م، واتحاد المهندسين واسمه TEKDER، واتحاد الأطباء والصحة واسمه SAGLIK DER وهناك " نقابة للعمال " - الاتحاد النقابي لحق العمل - اسمها HAK IS وأسسها " ياسين خطيب أوغلو " وهي تأسست منذ حزب السلامة الوطني في بداية السبعينيات بلجنة عمالية واحدة ثم تطورت لتصبح نقابة عمالية كبيرة أصبحت ثاني أكبر نقابة عمالية في تركيا كلها إبان " حزب الرفاه " فالمصادر تشير إلي أن عدد المشتركين فيها يبلغ 160 ألف عضو معظمهم كانوا من أعضاء اتحاد النقابات التقدمية DISK، وهناك أيضاً نقابة للموظفين تؤيد الرفاه واسمها MEMUR - SEN[1].

نحن أمام حزب كبير وله تواجده الممتد والمتجذر في الحياة الاجتماعية والسياسية التركية، وهو تعبير عن تواصل مستمر للوجود السياسي لحركة اجتماعية قائمة ومستمرة ولا تزال حتي هذه اللحظة يعبر

(2) هذه المعلومات استقيناها من أحد أعضاء " الملي جوروش " بألمانيا وسألته عن علاقتهم بالرفاه فأفادنا بهذه المعلومات بمقر حزب السعادة بأنقره وهو وريث الرفاه. وهي معلومات أقرها قيادات الرفاه الموجودون.

(1) هذه المعلومات من مصادرنا في حزب السعادة ولكن بعضها منشور وراجع مثلا: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، م. س. ذ، ص 113.

عنها أحزاب سياسية متعددة في فترات مختلفة، يحدث بينها انقطاع بسبب التدخلات العسكرية لكنها لا تذوي أو تختفي، كما لا يمكن حتي لخصومها أن يتجاهلوها أو يستغنوا عنها بل إنها تعود كل مرة أكثر قوة وحيوية، كما تشير نتائج الانتخابات وأداء الأحزاب المختلفة التي تعبر عن " الملي جوروش ".

وربما يعطي وصف بعض المراقبين للانتخابات التركية النيابية التي جرت في 24 /12 / 1995 والتي وضعت " الرفاه " في قلب النظام السياسي بفوزه بأكبر عدد من الأصوات والمقاعد في البرلمان - تصوراً عن حجم " حزب الرفاه " في الحياة السياسية التركية " كان " أربكان " ينتقل بطائرة هليوكبتر خاصة ليتحدث في مدينتين أوثلاثة يومياً، ومن الواضح أن الحزب لا يعاني من مشاكل مالية ذلك أنه قاد واحدة من أقوي الحملات الانتخابية وأقام أكثر من ألف مركز انتخابي في كل منها جهاز كمبيوتر واحد علي الأقل يتضمن أسماء الناخبين وعناوينهم وأي معلومات يحتاجها المتطوعون والمتطوعات من أعضاء الحزب الذين بلغ تعدادهم 90 ألف لا يتقاضون أجوراً لأن دوافعهم دينية وليست سياسية[1].

ثانيا: بناء الكادر السياسي لحزب الرفاه:

لم تنشر أي معلومات بالعربية وربما بغيرها عن كيفية بناء الكادر السياسي في " حزب الرفاه "، وهي مسألة كانت حاضرة في وعي الباحث بقوة لذا تحريناها واستطعنا أن نتغلغل في الطريقة التي تتم بها التربية السياسية والدينية داخل أكبر حزب إسلامي ظهر إلي الوجود حتي

(1) جمال خاشقجي، زعيم حزب الرفاه الإسلامي يخلط الأوراق التركية، الوسط، ع 205 بتاريخ 1996/1/1.

اليوم.

ذكر لنا أحد أهم مسئولي التدريب الثقافي في حزب الرفاه أن وسائل التثقيف للكادر السياسي تكون عبر الآتي:

1 - الملي جازيت وهذه (إجبار) يتعين علي العضو المنتسب للحزب والذي في دور التكوين أن يطالعها وفيها صفحات دينية وأخلاقية وثقافية وإذا قرأها لمدة ثلاثة أشهر فهم ما يجري حوله، أوضاع تركيا ليست كأوضاع مصر، ومن ثم فهو لا يقرأ " معالم في الطريق " ولا يستطيع أن يفهمه، وإنما لابد من قراءة " الملي جازيت ".

2 - **علم الحال ويعني " معرفة النفس ما لها وما عليها "**، فيتعلم الكادر منذ البداية العقائد الصحيحة " عشر كتيبات " وهي الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، وأحكامها وفرائضها بالتفصيل، الأخلاق، سيرة الرسول صلي الله عليه وسلم " بالتفصيل، وفي كل بيت في تركي متدين أو غير متدين كتاب لعلم الحال، وعلم الحال يعبر عن روح الثقافة التركية التي يغلب عليها الطابع العملي الحركي[1]، **فهي تعبير عن روح الثقافة يشربها الناس بشكل عرفاني صوفي ولكن لا يمكن تفسيرها**.

إنها روح التدين والعقيدة والشخصية التركية. وهم يأخذون قوانين ومعرفة هذه القواعد من كتب الفقه الحنفي المعروفة مثل " بدائع الصنائع " وفتح القدير "، فهذا ملخص لها، ماهو حال المسلم وما يجب عليه **إذا لم يقرأ هذا أولا فإنه لايمكنه فهم سيد قطب ولا غيره**.

(1) عن الثقافة التركية راجع كمال السعيد حبيب، الأقليات والسياسة في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتي نهاية الدولة العثمانية (621 - 1908)، القاهرة: مدبولي، 2002، ط1، ص 229 - 237

فنحن ندرس مسائل الاستقراض والربا ماهو؟ ومامعناه؟ إنه اقتصاد ولكن من منظور الإسلام. وأشار لكتاب مهم يعتمدونه كمرجع معرفي مهم اسمه " رسائل العقائد " AKAID RISALELERI " وهي تعبر عن عقائد أهل السنة والجماعة من عهد الإمام الأعظم حتي عصرنا الحاضر " ويشمل هذا الكتاب الذي حصلنا علي نسخة منه والمكتوب باللغتين التركية **والعربية علي عدد من المتون هي:**

1/2 - **الفقه الأكبر للإمام الأعظم " أبي حنيفة النعمان** " و " العقيدة الطحاوية " لأبي جعفر الطحاوي الحنفي، وكتاب التوحيد لأبي منصور الماتريدي **وكتاب السواد الأعظم** أي أهل السنة والجماعة، ورسالة في الإيمان جزء من العمل أم لا ومركب أم لا، وعقائد النسفي " وقصيدة الأمـــالي "
وهي منظومة في العقيدة بطريقة المتون الشعرية، والعقائد العضدية، والقصيدة النونية، وعقيدة الإيمان لحضرة إبراهيم حقي الأرضرومي الحسني (1704 - 1780) - وهو أحد علماء الدولة العثمانية والكتاب مكتوب بالعربية، وروضات الجنات في أصول الاعتقاد للإمام " محمد بن بير علي البركوي " وهو عالم عثماني، وجوهرة التوحيد المسمي " إتحاف المريد بجوهرة التوحيد " للشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي، وهو متن منظوم شعراً، **وكتاب المناهج** لأبي منصور الأصفهاني، ثم كتاب " مناهج الإسلام في الحياة من الكتاب والسنة - الجزء المتصل بكتاب الإيمان وهو لعالم أزهري مصري، وهم يفضلون كتاب " إحياء علوم الدين " و " كيمياء السعادة " بالإضافة للكتب

المترجمة من العالم الإسلامي[1].

نحن أمام **منهج تقليدي** محكوم بصبغة العلماء القدامي لأهل السنة والجماعة وهذا المنهج يركز علي **الاتباع وعدم الاندفاع**، كما يركز علي **الطاعة، والالتزام بالجماعة والبعد عن الشقاق والخصام**، فالمرء لا يري نفسه أوذاته مستقلة عن الجماعة التي ينتمي إليها، وقد يصيب البعض الدهشة إذا ذهبنا إلي أن الفكر السياسي للرفاه بصيغته التي وصفها أحد أهم المختصين في الشأن التركي بأنها تعبير عن " **توليفة ممتازة من القيم الإسلامية والقيم القومية في إطار منظور قومي تغلب عليه الصبغة الإسلامية** " [2] هو انعكاس للعقائد التي عبرت عن السواد الأعظم وعن السنة والجماعة وعن التماهي مع المجموع والحفاظ علي الوحدة والأمن القومي بمفهومنا المعاصر، فهذه العقائد تعبر عن الطابع الإسلامي والقومي لحزب الرفاه الذي يري وحدة تركيا، تركيا الكبيرة، وتركيا التي يطيب عيشها وغيرها.

3 - **المحاضرات، وهذه ليست الزبدة ولكنها تثير أفكاراً**، أنت لك وجهة نظر وغيرك له وجهة نظر وهذه مثل عصف الذهن " للتدريب علي الفكرالجماعي، وأنت تسمع وتأخذ ما يناسبك من بين الموضوعات مثلا

" تخريب الأخلاق في تركيا.. المسببات والعلاج "، ويحاضر في هذه المحاضرات أسماء كبيرة في تخصصاتها مثل المتخصصين في الإلهيات من كليات الإلهيات والقوانين من القانونيين وأعضاء حزب الرفاه وهكذا..

)1(Ali Nar, Akaid Risaleleri, Ankara, Mart, 1994.

(2) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية - التركية، م. س. ذ، ص 104.

4 - **دورات في التربية والتعليم** وهي تستمر يومين يشترك فيها 100 شاب وفي الدورة تناقش أمور مثل:

1/4 - **ماهو الاشتغال في الجامعة؟ وماهو " الملي جانشيلك "؟ و " أسس الأساس** " وهو يعطي لك جواب حول أسئلة لماذا نشتغل؟ وبأي شئ نجتهد ونشتغل؟ ولأي شئ نشتغل؟{ٱۡۡۡۡۡۡۡۡۡۡۡۡ} [البقرة: ٢٠١] وأسئلة مثل لماذا خلق الله العالم؟ ولماذا خلق الله الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الناس؟ وما الفرق بين الإنسان والمخلوقات الأخري؟ وعلي أي شئ يمتحن الله الناس؟ وما الحق وما الباطل.. إلخ.

5 - استطعنا الحصول علي نسخة من الكتاب المقرر لتكوين الرؤية الفكرية والسياسية للكادر السياسي **في حزب الرفاه وعنوانه " حكومة العالم الخفية "** وفي الكتاب تصور عن وجود حكومة خفية هي التي تدير العالم وتهيمن عليه، هذه الحكومة الخفية هي تعبير عن تحالف الاستعمارالغربي ومؤسساته الاقتصادية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وغيرها مع الصهيونية العالمية وإسرائيل وأن هذا التحالف وثيق الصلة بالقوي الداخلية المتحالفة والمترابطة معه وهي القوي التي يسميها الرفاه " القوي التقليدية " وهي الأحزاب السياسية غير الرفاه بكافة أطيافها اليمين واليسار معا فلا فرق بينهما، وجماعات الضغط المتحالفة مع النظام العلماني في الداخل مثل جمعيات رجال الأعمال (أصحاب التوكيلات الكبري) والمؤسسة العسكرية ووسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات العلمانية التي تعبر عن المصالح الغربية في تركيا.

6 - في مقدمة هذا الكتاب يقول المؤلف " السبب الحقيقي لما يحدث... هو وجود قوة خفية تحاول استغلال العالم واستعباده وتحويل الناس إلي خدم لها وهذه القوة الخفية بدأت وتوسعت منذ قرون عديدة ولها غاياتها

ووسائلها وطرقها الخاصة في التنفيذ، **وهدفها الأساسي هو السيطرة علي العالم والتحكم فيه**.

أي أن هذه القوة الخفية تعمل منذ قرون لتحريك الأحداث العالمية لما فيه مصلحتها وخدمة أهدافها السرية، وهذه القوة الخفية تصنع مخططاتها لتحريك الأحداث وصولا لتلك الأهداف السرية، لمعرفة المعالم الخاصة لهذه المخططات السرية ينبغي إلقاء نظرة تشريحية للعالم الحالي.. فبدون التشريح لمكونات عالمنا لا يمكن تشخيص الأمراض وأسبابها وكيفية علاجها.. لو قام أحدنا بشراء تذكرة طيران للسفر فإن 9% من ثمن التذكرة يذهب إلي مايسمي " بهيئة الطيران والنقل الجوي العالمية " وإلا فإن النقل الجوي يصبح متعذراً لأن الطائرة لن يسمح لها بالهبوط علي أرض أي مطار في العالم، وهذه الهيئة العالمية مهما قيل عن اسمها أنها عالمية وتخدم النقل الجوي العالمي إلا أنها **تابعة في الحقيقة إلي المنظومة السرية التي تريد التحكم في العالم** كباقي المؤسسات والهيئات العالمية، أي أنها تخدم أغراض حكومة العالم الخفية، فمردودها المالي يذهب في نهاية المطاف إلي خزائن تلك الحكومات الخفية... والبنوك تأخذ 1 - 5% من المال المحول وتذهب العمولة في نهاية المطاف إلي خزينة حكومة العالم الخفية، وشركة " لويد " للتأمين البحري هي أحد أدوات حكومة العالم الخفية، وهكذا صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيره..

7 - يجيب الكتاب قبل الخوض في حكومة العالم الخفية عن الأسئلة الأساسية أو أسئلة الأساس مثل ماذا تعني كلمة الحق والباطل؟ ولماذا خلقت هذه الكائنات؟ ولماذا خلق الإنسان؟ ولماذا يمتحن الله الإنسان في الدنيا؟ وكيف يتم اختبار الإنسان في هذه الدنيا؟ وكيف يتحقق الخير والسعادة؟ وماهو الإسلام؟ وماهو القرآن؟ وماذا يعني أن يكون المرء

مسلما؟[1].

8 - **ولأهمية السؤال فإننا نورد ماأجاب به كتاب " حكومة العالم الخفية " عنه.** يقول " إن المسلم لغة تطلق علي من يعلن انقياده وخضوعه لأوامر الله عز وجل، وينبغي علي كل من يدخل الإسلام أن ينطق بالشهادتين خالصة من قلبه، والشهادتان تعنيان أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهو الرب الخالق الأوحد وأن محمداً " صلي الله عليه وسلم " عبده وخاتم أنبيائه ومرسليه ولكن معاني هاتين الشهادتين لا تفهم بوضوح إلا بعد معرفة كلمة " الإله " لغوياً وهي تعني " المستحق للعبودية وحده، المستعان وحده، الذي يبتغي رضاه وحده، واضع القوانين ومنظم الحق والعدل.

وعلي هذا يكون الإنسان حين ينطق الشهادتين كأنه يقول يارب آمنت بك رباً مستحق العبودية وحده وآمنت بك ربا يستعان بك وحده، وآمنت بك ربا يبتغي رضاه وحده، **وآمنت بك ربا واضعاً للقوانين ومنظما لقوانين الحق والعدل، وأعاهدك علي أن أبذل مافي وسعي لجعل قوانينك وأحكامك هي السائدة علي وجه الأرض،** ولكن ماهي هذه القوانين والأحكام؟ والجواب هي الأحكام والقوانين التي دعا إليها وبلغها النبي محمد " صلي الله عليه وسلم " وهو الرسول المبعوث من الحق سبحانه وتعالي لهداية البشر، وهي القوانين والأحكام التي جاء بها أمين الوحي جبرائيل " عليه السلام وجعلت في كتاب واحد يدعي " القرآن الكريم ".

هذا **الكتاب يحتوي علي جميع الأسس والقوانين التي تنظم حياة**

(1) حزب الرفاه، **حكومة العالم الخفية**، نسخة اليكترونية غير منشورة تحت عنوان " **ماذا يعني أن يكون المرء مسلما** " ؟.

النـاس اعتمـاداً علـي العدل والحق والخير، ويسلم من ينطـق بالشـهادتين أيضـاً ببذل كل مافي وسعه لما فيه خير الحياة الدنيويـة والأخرويـة، وسـمي الله سبحانه الأمة التي تنطق بالشهادتين بالمسلمين وميزهم عن بـاقي الأمـم الأخري التي وقعت أسري أهوائها.

فالصراع بين الحق والباطل هو في الحقيقة صراع بين المسلمين الذين يعملون

من أجل إحقاق الحق وبين أولئك الذين يتبعون أهواءهم ورغباتهم ويعملون من

أجل ترسيخ الباطل{ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮬ ﮭ ﮭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ} [المائدة: ٤٤ - ٤٧].

فالمقاييس الإلهية المنظمة لحياة البشر هي الطريق الوحيد المؤدي إلي سعادتهم الأبدية، أما إذا حادت البشرية عن هذا الطريق فإن ذلك يكون مجلبة للظلم والظلام، وهذه هي معالم الصراع بين الحق والباطل منذ وجد آدم عليه السلام وحتي قيام السـاعة علـي هذه الأرض التـي هـي دار امتحـان للإنسان(1).

9 - **آداب المعاشـرة والأخـلاق وهـي** التعـاليم التربويـة فـي الإسـلام وتوجيهاته الأخلاقية وهي التي يطلق عليها آداب السلوك والتزكية.

10 - **مفاهيم الغرب وفلسفته وتطوره الحضـاري** وعلاقتـه مع العـالم

(1) نفس المرجع، بدون ترقيم.

الإسلامي وعلاقته بإسرائيل والصهيونية والرأسمالية والغزو الفكري.

11 - **خدمات " الملي جوروش " وإنجازاته وتغييره** المجتمع نحو المفاهيم الصحيحة وتفصل لأربعة مناحي وهي: الحكومة والبرلمان والبلديات وفي منظمات المجتمع الأهلي.

12 - **الموضوعات العامة وتناقش السياسة اليومية وكيف ننظر إلي المستقبل،** وسيفر الجديدة، ودخول تركيا للاتحاد الأوروبي وتأثيره علي تركيا، وهذا يحدث في مراكز كثيرة ويتكرر كل أسبوع، وهناك مايعرف باسم " ضيافة القرآن " حيث يأتي المشايخ والأساتذة من المقرئين في العالم الإسلامي خاصة في رمضان، وشارك فيها الملايين وفي مرة واحدة حضر 30 ألف وهذا للتنشيط والتشجيع(2).

13 - أشار مسئول التثقيف في " حزب السعادة " والذي كان مسئولا عن التثقيف في " حزب الرفاه " إلي **أن العقل التركي يرفض الضغط فهو يفكر بعمق وليس فوريا كما عند إخواننا العرب، فالتركي مثل الجمل لين وليس خشن يأتي من الدولة العثمانية تفكيره كبير والغرب يريد أن يغير نمط التفكير التركي العميق ليجعل منه تفكيراً فورياً عن طريق الإعلام والتربية ومن ثم يمزقه ويأكله.**

التركي يضع معني الدين والحلال في وعيه وتفكيره ويقول هذا أفعله للخير، سبيل، طريق، مسجد، وإذا تغير هذا فهو مهدد للشخصية التركية واستدل لي بمثل تركي يقول " Haydan Gelen Hu Ya Gider ومعناه " أي مال يأتي من غير كسب يذهب لغير مستحقه ".

(2) علمنا أن ضيافة القرآن لم تكن تحدث أيام الرفاه ولكنها حدثت مؤخرا كجزء من نشاط حزب السعادة الديني وهو تعبير في كل حال عن الفكر الملي وحركة الملي جوروش.

وهو يعتبر أن تركيا دولة مهمة في الوعي الغربي ومسألة طرح فكر إسلامي يقول " **إن الإسلام يحل المشكلات** " هي مسألة كبيرة جدا ولا يمكن تفويتها بسهولة، وهو يقول " إن أهم صفات التركي هي الإدارة والتنظيم، والغرب يريد تخريب هذه الصفة لدينا كأتراك ونحن نقاومها، التركي كان الرأس بالنسبة للعالم الإسلامي والغرب أخذه تحت الكتف (وخلاص).

14 - في لقاء لنا مع مسئول الشباب في حزب السعادة عبر عن أن " حركة الملي جوروش " هي حركة تجديدية ولكنها تجدد في الجوانب المتغيرة والتي لا تتعارض مع الثوابت المحددة بالنص والإجماع والمعلوم من الدين بالضرورة، وأي شخص أو منظمة، وأي حزب لا يستطيع أن يتجاوز الأحكام الشرعية الثابتة{ييثثنثثث} [الملك: ١٤].

وفي حضارتنا النص المجمع عليه قرر أشياء لا يجوز العدوان عليها بالتغيير، وهذه هي الضرورات الخمس وفيما عدا الثوابت نعمل علي التجديد مستندين إلي التجربة التاريخية لفعل الصحابة والخلفاء والأئمة مالك والشافعي والسلف الصالح، والتجربة التاريخية ليومنا هذا ماهي المشاكل والحلول لعصرنا مثلا صندوق النقد الدولي، الرأسمالية، الشيوعية وغيرها، والتجديد لا يكون ضد الثوابت.

إذن حزب الرفاه هو حزب سياسي مدني مستند إلي مرجعية إسلامية واضحة يمكننا القول أنها تستند لفكر تقليدي محافظ في الجانب الديني، ومن ثم فهو يزاوج بين الحداثة والتقليدية في سياق الفكر التركي العميق والذي يجعله كالجمل يصبر ويتحمل ولكنه يخطط ويدبر لمشروعه التغييري الذي ينطلق بلا جدال من المرجعية الإسلامية.

ثالثا: حزب الرفاه وممارساته السياسية في الحكم:

تولي " حزب الرفاه " السلطة في تركيا في 29 /6/ 1996 م مؤتلفا مع حزب الطريق الصحيح برئاسة " طانسو تشيلر " بعد ضغوط من العسكر لمنع " الرفاه " من الوصول إلي السلطة السياسية وهو ماخلق حالة فراغ سياسي في الدولة حتي تشكلت " حكومة يلماز " الائتلافية من حزبه الوطن الأم ANAP وحزب الطريق الصحيح DYP خلافاً للتقاليد والأعراف السياسية ونالت هذه الحكومة الهشة التي جاءت علي أسنة رماح العسكر ثقة البرلمان التركي في 12 /1996/3 م ولكنها سرعان ما انهارت باستقالة رئيسها في 1996/6/6 م وذلك لأن " حزب الرفاه " تقدم بمذكرة إلي رئيس الجمهورية في 1996/4/10 م يذكر فيها أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية لتنال ثقة البرلمان حسب الدستور، وراجع " حزب الرفاه " المحكمة الدستورية بهذا الخصوص في 1996/4/13 م وفعلا أصدرت المحكمة الدستورية قرارها بإلغاء التصويت علي الثقة في الائتلاف الحكومي في 1996/5/14 ونشر القرار في الجريدة الرسمية في 1996/6/6 م أيدت فيها ما ذهب إليه حزب الرفاه " من أن الحكومة لم تحصل علي الأصوات الكافية المقررة في الدستور لنيل ثقة البرلمان، ووجد " يلماز " الفرصة سانحة فأعلن استقالته[1].

(1) لتشكيل الحكومة يجب علي الائتلاف المخول بذلك أن يحصل علي ثقة 276 نائباً من مجمل العدد الكلي لنواب البرلمان (550نائباً)، ولكن ائتلاف حكومة يلماز لم يكن حصل علي هذا العدد من النواب ولذا قبلت المحكمة الدستورية الطعن الذي تقدم به " أربكان " في عدم دستورية تشكيلها للحكومة، وكان " أربكان " نفسه قد قال عن حكومة يلماز الائتلافية والتي لم تستمر سوي أربعة أشهر أنها ولدت ميتة، ومن قبل تشكيل حكومة يلماز الائتلافية مع تشيلر عدوته اللدود، وكان

لم يكن هناك مفر من تكليف " نجم الدين أربكان " بتشكيل الحكومة حتي لاتتم الدعوة إلي انتخابات برلمانية جديدة سوف يحصل فيها " الرفاه " علي الأغلبية كما تشير مؤشرات الصعود التصويتي له فقد جرت انتخابات محلية فرعية في 1996/6/2 حصل فيها الرفاه علي 34% من الأصوات بينما تراجعت حظوظ كل من حزبي اليمين " الطريق القويم " والوطن الأم بنسبة 4%، وبعد مفاوضات استغرقت عشرين يوماً مع رؤساء الأحزاب السياسية تم التوصل إلي اتفاق بين " أربكان " و " طانسو تشيلر " زعيمة حزب " الطريق المستقيم " لتشكيل الحكومة الرابعة والخمسين في عصر الجمهورية التركية.

أي أن الظروف السياسية التي وصل فيها " الرفاه " إلي السلطة كانت في غاية التعقيد، فهناك رفض من المؤسسات العلمانية لوصول حزب له توجهات إسلامية حقيقية وقوية ليقتحم القلعة من الداخل - والمقصود هنا القلعة العلمانية التي بناها " أتاتورك " وأحاطها - هو وخلفه - بمؤسسات متتالية كالأسوار حول المعصم تحول دون تعرض هذه القلعة للاقتحام من جانب

" أربكان " قد حاول مرتين تشكيل حكومة باعتباره أكبر الأحزاب في البرلمان (158صوتاً) ولكن ضغوط العسكر منعت الأحزاب اليمينية من التعاون معه، وكانت حكومة يلماز الائتلافية قبل تشكيل الرفاه لحكومته الرابعة والخمسين تشكلت بين خصمين لدودين بضغوط من العسكر لمنع الرفاه من المجئ إلي السلطة. وراجع في كل هذه التفصيلات: كمال خوجه، **جريدة المسلمون**، لندن، 1996/7/19 وأيضا محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص 87، وجلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 56، حيث يشير إلي أن " تشيلر " صرحت أنها قدمت تنازلات لتشكيل الحكومة مع الوطن الأم من أجل قطع الطريق علي الرفاه الإسلامي للوصول إلي السلطة. ويوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، بدون بيانات نشر، ص 73 حيث يشير إلي أن ائتلاف حكومة يلماز الثالثة والخمسين حصل علي 257 صوتا فقط، ص 73.

الإسلاميين أعداء الجمهورية والعلمانية كما يري ممثلو " الأيديولوجية الكمالية "، وهناك حملة إعلامية قوية علي " حزب الرفاه " من الصحافة العلمانية وهناك حديث عن " انقلاب عسكري " وشيك، وهناك حديث عن الخطر الأصولي باعتباره الخطر الأول الذي يهدد الأمن القومي التركي من جانب المؤسسة العسكرية ورموزها.

رغم ذلك بدا " حزب الرفاه " أكثر تمسكا بالدفاع عن المؤسسية والدستور والديموقراطية ومقاومة الفساد(1).

ففي تصريح " لأحمد تكدال " نائب رئيس الحزب قال " إذا كانت تركيا تتمتع بالديموقراطية فلا يمكن تجاهل الرفاه بصفته أكبر حزب سياسي ممثل في البرلمان " (2)، وفي صحيفة " ميللت " ذكر رئيس تحريرها " كونكور فيكي " أن مبادرة " الرفاه " إلي طرح قضية الانتهاكات المالية والقانونية ستزيد من شعبيته وتجعل منه في نظر الشعب

(1) عن الظروف المحيطة بتشكيل حكومة الرفاه الإئتلافية راجع: يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، م. س. ذ، ص 76 - 84 وحزمة متنوعة من المقالات والأخبار مثلا المسلمون، برغم **تطمينات أربكان فإنه لايزال يثير قلق الغرب، 1996/7/19**، والعالم اليوم، مع صعود الأصولية في تركيا، **واشنطن تفضل النوم في العسل والحياة**، تشيلر تجدد دعوتها إلي ائتلاف علماني ولا تقفل الأبواب أمام اتفاق مع الرفاه، 1996/6/12، الشرق الأوسط، حمزة الحسن، **تباشير الانقلاب والحرب**، 1996/6/22 م، والشرق الأوسط، **انقلاب أبيض نفذه العسكر ضد التفاهم بين الرفاه** وتشيلر، 1996/6/27 والشرق الأوسط، **الصراع يشتد بين دعاة الإجهاز علي الرفاه والمنادين باحتوائه في الحكم التركي**، والشرق الأوسط، **دوائر يهودية وإسرائيلية تري في الرفاه التركي ضماناً للعلمانية**، والحياة **تركيا حزب يميني متطرف يضع شروطاً لمنح الائتلاف الحكومي** ثقته 1996/7/4 والحياة تركيا: **التنافس علي أصوات النواب علي أشده** عشية جلسة الثقة وبعضهم تلقي عروضا سخية فيما عرف بسوق حقيقية للنواب حيث خصصت مبالغ تراوحت بين مليون إلي 35 مليون دولار لتمويل الانشقاقات.

(2) الشرق الأوسط، 1996/6/1.

المدافع الأقوي عن الديموقراطية والحريات العامة بعكس الأحزاب التقليدية التي تتستر علي هذه الانتهاكات حماية لنفسها وأعوانها.

وفازت حكومة " أربكان " بثقة البرلمان بصعوبة بعد أن صوت حزب الوحدة الكبري " ذو التوجهات الإسلامية " بزعامة " محسن يازجي أوغلو " مكرها حتي لا يقال أنه وقف عائقا أمام وصول الإسلاميين إلي الحكم - لصالح الحكومة الائتلافية الجديدة[1]، كما أن **الحكومة الائتلافية جعلت من حزب " تشيلر " رقيباً علمانيا قويا علي حكومة " أربكان " بحيث لن يمكنه أن يطلق يده كما يريد** في تنفيذ برنامجه، إذ كان عليه أن يحصل علي موافقة تشيلر أولا قبل أن ينفذ أي قرار كرئيس للحكومة، والذي يدقق في توزيع الحقائب الوزاريه يلاحظ أن وزارات السيادة في يد حزب تشيلر[2] فهي نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية، ولحزبها وزارة الدفاع والداخلية ووزارة التعليم (التي حرص الرفاه عليها في ائتلافاته السابقة في السبعينيات) ووزارة الصناعة

(1) فازت الحكومة الائتلافية بثقة 278 صوتا وهي أزيد بصوتين فقط من النسبة التي تتيح لها تشكيل الحكومة مقابل 265 صوتاً معارضا ومن هنا كانت أهمية الأصوات التي منحها حزب الوحدة الكبري للائتلاف وعددها ثمانية مقاعد مع وعد له بمقعدين في الحكومة. وامتنع خمسة أعضاء عن التصويت ولم يحضر أصلاً للتصويت الجنرال " دوجان جوريش " النائب الوحيد ذو الخلفية العسكرية في البرلمان التركي وهو ما أشار إلي ترقب المؤسسة العسكرية للتطورات الجارية غير المرغوب فيها من جانبها وراجع أحمد السيد تركي، الأحزاب العلمانية في تركيا، السياسية الدولية، يناير 1998، ع 131 م. س. ذ، ص 149.

(2) جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 64 واتفق علي أن يتولي " أربكان " رئاسة الوزراء لمدة عامين تعقبه بعدها تشيلر لمدة العامين التاليين ويجري التحقق من مسيرة الائتلاف بعد عام بحيث لو حدثت صعوبات فإنه يمكن لتشيلر تولي رئاسة الوزراء بعد عام. كان " أربكان " مصرًا علي المشاركة في الحكومة والسلطة من أجل كسر الممنوعات في السياسية التركية العلمانية والتي تحظر علي الإسلاميين الاشتراك فيها بينما كان الجيل الأقل سنا يفضل التريث في الاشتراك في السلطة حتي لا يكتوي الرفاه بنارها وتقوم قيامة العلمانية التركية ويتم التركيز علي التأسيس الاجتماعي بين الجماهير والناس لفترة أطول.

والتجارة بل وحتي وزارة الشئون الدينية، أما الطاقة والمالية والعدل والإسكان والمرافق فهي للرفاه والباقي وزراء دولة (10 للرفاه)، و(9 لحزب الطريق المستقيم).

توزيع الحقائب الوزارية بين الرفاه RF والطريق القويمDYP[1]

أهم الحقائب الوزارية	أعضاء الحكومة	الحزب
رئيس الوزراء	نجم الدين أربكان	الرفاه RF
نائب رئيس الوزراء ووزيرة الخارجية	تانسو تشيلر	الطريق الصحيح DYP
وزير الدفاع	تورهان تايان	الطريق الصحيح
وزير الداخلية	محمد أغار	الطريق الصحيح
وزير التعليم	محمد سجلام	الطريق الصحيح
وزير الصناعة والتجارة	ياليم أريز	الطريق الصحيح
وزير الصحة	يلديرم أقتونا	الطريق الصحيح
وزير السياحة	بوهاتين بوسيل	الطريق الصحيح
وزير الأحراج	هاليت دغلي	الطريق الصحيح
وزير الطاقة والمصادر الطبيعية	رجائي قوطان	الرفاه
وزير المالية	عبد اللطيف شينر	الرفاه
وزير العدل	شوكت قازان	الرفاه

(1) هذا الجدول قمنا بتوليفه من عدة مصادر هي جلال معوض، صناعة القرار في تركيا و يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد ولكنهما معا لم يتضمنا معلومات محددة عن كل الوزارات كما هي هنا وقد استعنا بالسيد حسن بتماز أحد قيادات حزب السعادة، كان في زيارة للقاهرة لحضور مؤتمر لا للعدوان الأمريكي علي العراق وفلسطين في أواخر شهر مارس 2006 م.

وزير الإسكان والأشغال العامة	جودت إيهان	الرفاه
وزير الثقافة	إسماعيل كهرمان	الرفاه
وزير الزراعة	موسي دمرسي	الرفاه
وزير البيئة	زياد الدين توكار	الرفاه
وزير العمل	نساتي سليك	الرفاه
وزراء دولة	فهيم أداك	الرفاه

إننا أمام قلعة العلمانية التي تشعر بخطر الاختراق الإسلامي القادم، وكان هناك اتفاق أن يتولي " أربكان " رئاسة الحكومة لمدة عامين يخلفه بعدها بالتبادل " تشيلر "، ورغم هذه المخاطر فقد استطاعت حكومة " الرفاه " أن تثبت للأنواء والعواصف المحيطة بها علي النحو التالي:

1 - دشن " الرفاه " برنامجاً اقتصاديا مهما لإنقاذ البلاد من براثن الديون فميزانية الدولة كانت 48 مليار دولار تم رفعها خلال ستة أشهر إلي 53 مليار دولار ثم إلي 78 مليار دولار قبل أن يغادر " الرفاه " السلطة، واستطاع الرفاه " خصخصة عدد من البنوك والشركات للقطاع الخاص وأولها الهاتف التركي، وهو ماوفر سيولة مالية كبيرة للدولة التي تخلصت من الخسائر التي كانت تستنزف من موارد الدولة وباعت الحكومة مايقارب من خمسين ألف دار حكومية يسكنها موظفون بأجور رمزية، كما باعت مخصصات كبار الموظفين الذي اعتبرته ترفا لا يمكن لدولة مثل تركيا أن تتحمله وتم تقليص النفقات والمصاريف والهدر الحكومي.

فقد تبين أن هناك مئات الآلاف من الموظفين الذين توجد في غرفهم تلفزيون وشرائط وفيديو فأمر " أربكان " ببيعها وتحويلها لخزانة الدولة، ومنع مصروفات التهاني والإعلانات في المناسبات العامة والتي بلغت أرقاماً خيالية، ومنع الزائد من السيارات وغيرها من النفقات التي لا معني

لها.

ومنع الاستدانة من الخارج وهو ماقلل الفوائد التي كانت نسبتها تصل إلي 150% وبينما كان مقررا أن تدفع تركيا 24 مليار دولار فوائد فإنها حافظت علي 10 مليار دولار من هذه القيمة، وتم توجيه قدرات الدولة الاقتصادية لصالح الطبقات الفقيرة من الحرفيين والموظفين والعمال والمتقاعدين وأصحاب الدخول الضعيفة ورغم أن الدولة لم ترفع الضرائب فإنها زادت ما قيمته 5 مليار دولار في ستة أشهر.

وتم توفير ميزانية متوازنة للبلاد في عام 1996 لأول مرة منذ خمسين عاماً حيث تراجع العجز في الميزانية إلي الصفر، وتم تسيير ميزانية معقولة للبلاد في شهري يناير وفبراير قبل ملاحقة الحزب من العسكر والمؤسسات القانونية وتم رفع رواتب الموظفين بما يترواح بين 50% و 135% اعتباراً من الشهر التالي لتولي " الرفاه " السلطة، وإعفاء الحد الأدني للأجور من الضرائب وإعفاء المزارعين من فوائد الديون وتأجيل المطالبة بديونهم والوعد بزيادة إضافية لرجال الأمن والقوات المسلحة والقضاة وأساتذة الجامعات لخطورة مهامهم وأهميتها.

ورفعت الدولة أسعار تذاكر الطيران الداخلي، وفرضت الضريبة علي المتعاملين بالأوراق المالية وسندات الخزينة وقال " عبد الله جول " **إن البنوك ربحت في العام الماضي 45 مليار دولار، وأنه للدولة أن تأخذ الثلث من هذه الأرباح**، وهبطت الفوائد في البنوك وهو مايشجع علي مقاومة التضخم، وطالبت الحكومة الاتحاد الأوربي بالوفاء بالتزاماته تجاه تركيا كدولة عضو في الاتحاد الجمركي الأوروبي وهو مايعني حصولها علي 600 مليون دولار. وتشير المعلومات إلي أن مستوي الخصخصة في الشهور التي تولي فيها " الرفاه " السلطة لم يحدث مثلها في العشر

سنوات السابقة[1].

2 - أصدر وزير العدل " شوكت قازان " قراراً بإلغاء قرار وزير العدل السابق " محمد أغار " عن حزب الطريق القويم " والذي يقضي بمنع الزيارة الخاصة عن السجناء السياسيين ومعاملتهم بقسوة وهو مأدي إلي إضراب السجناء في 54 سجناً في أنحاء تركيا عن الطعام حتي الموت أو الاستجابة لمطالبهم بتوفير الحياة الإنسانية الكريمة لهم مع السماح لعوائلهم بزيارتهم.

وقال " شوكت قازان " إن السجناء هم إخواننا وأننا سوف نقوم بمعاملتهم المعاملة الإنسانية اللائقة بهم مع توفير المأكل والمأوي المريح والمطالعة في قاعاتهم التي يجب أن لا تضم أكثر من 10 أشخاص، ورجاهم الوزير إنهاء إضرابهم عن الطعام والعودة للحياة الطبيعية، وأنهي نصف المضربين في السجون إضرابهم، ثم أنهي الباقون جميعهم الإضراب بعد يومين، ولاقت هذه الخطوة استحسان الجمعيات الحقوقية التركية واعتبرت أحد مصادر التفاؤل لدي الشعب بانحياز الحكومة للفقراء والمستضعفين وأنها جادة في الوفاء ببرنامجها[1].

3 - إعادة المهجرين من المناطق الشرقية بسبب المواجهات

(1) صباح الدين أوتشار، **أربكان والتيار الإسلامي**، ترجمة الصفصافي أحمد، القاهرة، إيتراك للنشر والتوزيع، 2003، ط1، حيث ذكر أكثر من 35 إنجازا خدميا واقتصاديا إيجابيا للمواطنين، ص 285 - 291 وأيضا: أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 11 وأيضا وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟ وهي صادرة عن حزب السعادة اليوم وتحدثت عن إنجازات حكومة الرفاه الرابعة والخمسين، بدون ترقيم للصفحات. وفي النسخة الورقية التي حصلنا عليها راجع ص 13 - 18.

(1) **قرارات الحكومة التركية الجديدة ترفع من شعبية حزب الرفاه، الشرق الأوسط**، 1996/7/11 وعن السجن التركي الفظيع راجع محمد خليفة، **عن السجن التركي الملعون**، الحياة، 1996/8/20.

العسكرية بين الجيش وحزب العمال الكردي PKK - إلي منازلهم بعد اتفاق بين " أربكان " وبين رئيس أركان الجيش وأعلن " أربكان " أن قائد الجيش تعهد بالحفاظ علي أمن المواطنين الذين يرغبون بالعودة إلي بيوتهم وتعهد " أربكان " بتحمل الدولة لنفقات ترميم المساكن التي تضررت بسبب المواجهات العسكرية في المنطقة.

ودعا " أربكان " **إلي تدشين حملة التصنيع والاستثمار في المنطقة الشرقية من كبار رجال المال والصناعة،** وهو مايعني أن " الرفاه " كان يأمل في الاستمرار في السلطة لاستكمال مشاريعه الاجتماعية والصناعية التي تحقق الأمن والأمان للمواطنين وتنزع فتيل التوتر المناطقي والعرقي في تركيا مع الأكراد علي وجه الخصوص.

وضمت الحكومة عددا من المنتمين للمناطق الشرقية في تركيا وغالبهم من وزراء الخدمات وكان هدف الحكومة من ذلك هو **نزع الأسباب التي تقود الشباب الكردي إلي الانخراط في صفوف حزب العمال** الذي يقوده " عبد الله أوجلان ".

وأعلن " أربكان " عن توفير 90 ألف فرصة عمل شاغرة في تلك المناطق وقال أربكان " في هذا الصدد " آن الأوان لإعادة فتح القري المهجورة لتحسن الأوضاع الأمنية " وقال " نريد أن يعيش الناس ويعملوا في مناطقهم " وذكر أحد المعلقين الأتراك معلقا علي خطط الرفاه لإعادة سكان المنطقة الشرقية إلي بلدناهم " الرفاه جاء إلي السلطة مفعما بالطاقة، وهم حريصون علي عمل أشياء تزيد من شعبيتهم في الجنوب الشرقي، وهذا في حد ذاته يحسن الوضع مقارنة مع جمود الحكومة السابقة، وأيدت رابطة حقوق الإنسان المستقلة " الرفاه " في عزمه تحسين أوضاع هذه

المناطق المهمشة والفقيرة[1].

4 - سعي " أربكان " إلي وضع أسس لحل المشكلة الكردية وذلك بطرح خيار الحل السلمي لها عن طريق التفاوض وتأسيساً علي مبدأ الأخوة الإسلامية " إنما المؤمنون أخوة " الذي وضعه برنامج الحزب " النظام العادل " فسعي إلي إقامة اتصالات غير مباشرة مع الزعيم الكردي " عبد الله أوجلان " لإقناعه بإلقاء السلاح ووقف العمليات ضد الجيش التركي والتي تستنزف نصف ميزانية الدولة سنويا، وحل المشكلة الكردية في سياق ديموقراطي بعيداً عن المواجهة العسكرية أو الانفصال.

وساند " أربكان " في توجهاته 126 من رجال الأعمال الأتراك الكبار الذين أبدوا استعدادهم لتأسيس شركات باستثمارات كبيرة لتنمية منطقة جنوب شرقي البلاد، واتصل " أربكان " في سبيل تحقيق السلام بمناطق الأكراد بالكاتب الكردي الإسلامي " إسماعيل ناجار " المتحدث باسم " لجنة السلام والأخوة والتضامن " التي تضم كافة النواب الممثلين للمنطقة الكردية، كما اتصل بمثقفين وأساتذة جامعات ومتخصصين في الشأن الكردي مثل البروفسور " دوغو أركيل ".

وعبر الاتصالات غير المباشرة والتي دشنها الرفاه " مع " أوجلان " أبدي استعداداً للحل السلمي وقال " إنني مع الحل السلمي حتي من خلال الضوء الضعيف الأخضر الذي يبدو من خرم الإبرة "، وزار المعنيون

---

(1) **تركيا: أربكان يزور قونيا معقل الإسلاميين ويتعهد بإعادة المشردين الأكراد إلي قراهم**، الحياة، 1996/7/13 م. **وأربكان يزور مناطق الأكراد لتشجيعهم علي عودة المهجرين إلي قراهم**، 1996/7/14 **ورئيس الوزراء التركي يتحرك لاحتواء حزب العمال الكردي**، الشرق الأوسط 1996/7/15.

بالحل السياسي لمشكلة الأكراد بموافقة وزير العدل الرفاهي " شوكت قازان " في السجن " مراد بوزلاق " رئيس حزب الديموقراطيين الأحرار ومعه 28 بتهمة التواطؤ مع " حزب العمال الكردي " وذلك لطرح صيغة ديموقراطية وسلمية وإنسانية للمشكلة الكردية المزمنة في تركيا[1].

5 ـ دشنت حكومة " الرفاه " عدداً من المشاريع الكبيرة والعملاقة في قطاعات حيوية مثل الطاقة والمواصلات، والمناطق الحرة، وكانت تخطط لإنفاق 120 مليار دولار لتحقيق هدف " تركيا عظيمة " وكانت الغرفة التجارية في " أنقرة " ـ وهي جهة محايدة نشرت دراسة اقتصادية أفادت أن حكومة " الرفاه " الرابعة والخمسين هي الأكثر نجاحاً من الناحية الاقتصادية منذ عام 1983 م وحتي عام 2002 م[1].

الإنجاز الاقتصادي لحكومة الرفاه مقارناً بالحكومات التركية منذ عام 1983 م

ترتيب النجاح	الحكومة	عدد النقاط

(1) **أربكان يبدأ اتصالات غير مباشرة مع أوغلان،** الشرق الأوسط 1996/8/5، وكما هو معلوم فإن المشكلة الكردية تأخذ بعدا عسكريا متفاقما منذ إعلان حزب العمال الكردي عام 1984م بدء الكفاح المسلح ضد الدولة الكمالية والمطالبة باستقلال كردستان تركيا و تشير تقديرات الضحايا إلي نحو 30 ألف قتيل و10 مليار دولار سنويا. وبعد حرب الخليج الثانية تزايدت المشكلة تفاقما مع الحديث عن نواة لدويلة كردية في العراق يمكن أن تهدد أمن تركيا خاصة إذا علمنا أن عدد الأكراد في تركيا يبلغ حوالي 12 مليون نسمة وفق التقديرات الرسمية بينما تصل بها التقديرات غير الرسمية إلي 18 مليون.

(1) أربكان، **وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟** نقلنا عنها الإنجازات الاقتصادية للرفاه والجدول المرفق. وقد تمكنا من الحصول علي نسخة ورقية، نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير 2003، أنقرة: بلغت، ص 13 - 18.

1 -	حكومة " نجم الدين أربكان " الرابعة والخمسين	37
2 -	حكومة يلدرم آق بلوط السابعة والأربعين	39
3 -	حكومة تورغوت أوزال " الخامسة والأربعين	40
4 -	حكومة تورغوت أوزال السادسة والأربعين	51
5 -	حكومة سليمان ديميريل التاسعة والأربعين	52
6 -	حكومة مسعود يلماز الخامسة والخمسين	53
7 -	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين الأولي	61
8 -	حكومة تانسو شيلر الخمسين	75
9 -	حكومة بولنت أجاويد السابعة والخمسين " كمال درويش "	81

المصدر: نجم الدين أربكان، المؤتمر الكبير 2003، حزب السعادة، ص17

6 - سعت حكومة " أربكان " إلي تحسين علاقتها بالعالم العربي والإسلامي ومن هنا كان أول عمل قام به هو زيارة " إيران وباكستان وأندونسيا وماليزيا ومصر وليبيا ونيجيريا وذلك لتحقيق حلمه الكبير بإقامة " منظمة اتحاد الدول الإسلامية " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الاقتصادي " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الدفاعي " و " منظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي ".

وفي الأيام الأخيرة من عمر حكومته الائتلافية أعلن رسميا عن ميلاد رابطة الدول الإسلامية الثمانية (D8) في قصر " شيريغان " في اسطنبول بتاريخ 15 يونية عام 1997 م[1]، وكان العلم الذي يمثل

(1) هذه الدول هي تركيا ومصر وباكستان وإيران وبنغلاديش ونيجيريا وماليزيا وأندونسيا، وفي كل حواراتنا مع قادة الرفاه كان الحديث عن تأسيس سياسة خارجية تستند إلي التوحد مع العالم الإسلامي انطلاقا من مفهوم الأمة الإسلامية عن طريق الأمم المتحدة الإسلامية والسوق الإسلامية المشتركة والجيش الإسلامي المشترك ومشروع العملة الإسلامية المشتركة " الدينار الإسلامي " ومنظمة الدول الإسلامية للتعاون الثقافي مثلا حوارنا مع شوكت قازان وزير العدل التركي في حكومة الرفاه حيث أشار إلي أهمية ذلك.

مجموعة الدول الثمانية الإسلامية يحتوي علي ستة نجوم تشير إلي ستة مبادئ وهي: لا للحرب نعم للسلام، لا للصراع نعم للحوار، لا للمعايير المزدوجة نعم للعدالة، لا للاستعمار نعم للتعاون، لا للاستكبار نعم للمساواة، نعم لحقوق الإنسان[2].

وبشكل عام فإن السياسة الخارجية التي يمثلها فكر " الملي جوروش " تعبر عن ضرورة زيادة ثقل تركيا في الدائرة الإسلامية، الدول العربية والقوقاز والبلقان وبقية الدول الإسلامية وتطوير التعاون معها وخاصة دول الجوار (سوريا وإيران)، وذلك في مواجهة الرؤية الأتاتوركية العلمانية التي تعتمد علي تعزيز العلاقات مع الغرب وإسرائيل الذي يرفضها " أربكان " رفضاً مطلقاً منذ تأسيسه لأول حزب له وهو حزب النظام[1].

ومع مجئ " أربكان " إلي السلطة فإن التوجه التركي ناحية العالم العربي والإسلامي قد وجد لنفسه موطأ قدم قوي في السياسة الخارجية التركية التي ظلت احتكاراً للتوجهات الغربية المراهنة علي العالم الغربي[2] ووفق استطلاع للرأي أجرته وكالة المعلومات الأمريكية سنة

(2) نجم الدين أربكان، **وثيقة ماذا يعني فكر الأمة؟** م. س. ذ، ص 38 وهي الكلمة التي ألقاها نجم الدين أربكان في المؤتمر الأول الكبير لحزب السعادة عام 2003 وكانت بعنوان ماذا يعني فكر الأمة واستطعنا الحصول عليها مكتوبة بالإضافة إلي النسخة الإليكترونية.

(1) وعن السياسة الخارجية للرفاه ورفضه المطلق لانضمام تركيا للاتحاد الأوروبي وموقفه الحاد من إسرائيل و أمريكا والغرب راجع محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص 76 - 83.

(2) خورشيد دلي، تركيا و قضايا السياسة الخارجية التركية، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1999 م، نسخة إليكترونية حيث يشير إلي أن فئات واسعة من النخبة الفكرية والسياسية والعسكرية في المجتمع التركي تري أن الاتجاه نحو المنطقة العربية لا يجب أن يقتصر علي ما تحدده الاستراتيجية الغربية لأن ذلك يضعف الدور التركي ولا يقويه ويجعله تابعا وعميلاً، ص 40.

1996 م أفاد 47% من العينة أنهم يعتبرون تركيا جزءاً من المجموعة الإسلامية و27 % اعتبروها جزءاً من أوروبا و15% يقولون بالهويتين معا[3].

7 - وقعت حكومة " أربكان " الائتلافية علي معاهدة عسكرية مع إسرائيل بشأن تجديد وتصليح طائرات F14 وإجراء مناورات عسكرية مشتركة وكان ذلك بضغوط أمريكية حيث رفضت " أمريكا " تزويد تركيا بقطع غيار الطائرات إلا عن طريق التفاوض مع إسرائيل، وكانت الوزارتان اللتان قامتا بتدشين هذا الاتفاق هما وزارة الدفاع والخارجية من نصيب الحزب العلماني المشارك في الائتلاف.

ولم يكن بوسع " أربكان " أن يفعل شيئاً حسب البروتوكول الموقع بين الحزبين، كما أن المؤسسة العسكرية القوية كانت تدعم مثل هذا الاتفاق ومن ثم لم يكن بإمكان " الرفاه " أن يعترض أو يوقف الاتفاق[1].

ولإحراج " الرفاه " عمد العسكر إلي تدشين سلسلة من الاتفاقات مع إسرائيل عسكرية واقتصادية بل إن وزير الدفاع التركي " تورهان تايان " ذكر أن اتفاق التدريب العسكري بين تركيا وإسرائيل يحظي بدعم " أربكان " وأعضاء حزب " الرفاه " في البرلمان، وحين زار وزير

(2) نفس المرجع، ص 15.

(1) أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص 12 وهو أشار إلي أن حكومة تشيلر الثانية والخمسين هي التي وقعت معاهدة التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا، ونصبت أمريكا فخ التوقيع علي تجديد وإصلاح هذه الطائرات في عهد حكومة الرفاه الائتلافية لتلويث صورة الرفاه، ولكن قياديا في حزب السعادة كان في الرفاه أكد لي أن " أربكان " نفسه لم يوقع علي أي معاهدات مع الكيان الصهيوني، ويشير إبراهيم الجهماني إلي أن " أربكان " عبر عن امتعاضه الشديد من العلاقات بين تركيا والدولة العبرية واعتبر أن لإسرائيل أطماعا توسعية في تركيا، ص 91.

الخارجيـــــــــــــــــــــــة الإســـــــــــــــــــــــــــرائيلي " ديفيد ليفي " أنقرة في إبريل عام 1997م أرغم " أربكان " علي مقابلته ولكنه لم يناقشه في موضوع زيارته، وإنما تطرق لتذكيره بأهمية القدس للعالم الإسلامي، و وضعت خطة من وراء ظهره اسمها " تقدير المخاطر " لتقدير المخاطر المحتملة من سوريا وإيران ضد تركيا وإسرائيل(2).

ومثل تدافع قيادات الجيش التركي تجاه اتفاقيات التعاون العسكري مع إسرائيل والتوقيع عليها دون علم " أربكان " أو بعلمه وصمته نوعاً من الضغط عليه وإحراجه أمام قواعد حزبه، و كان ذلك أحد الأسباب المهمة للتساؤل في الشارع التركي خاصة من الاتجاهات الإسلامية المتعددة التي يزخر بها الواقع الإسلامي، كما كانت أحد نقاط الضعف المهمة التي أثارها الإسلاميون المختلفون مع توجهات حزب الرفاه.

لكن " أربكان " حاول قدر جهده أن يضع الفرامل في طريق العلاقات التركية - الإسرائيلية بتأجيل توقيع الاتفاق مع تل أبيب بشأن التعاون بين الصناعات الأمنية بين البلدين، ورفض طلباً لرئيس الوزراء الصهيوني " نتنياهو " للقاء به، ولم يرد علي رسالة التهنئة التي بعث بها إليه بمناسبة تنصيبه رئيساً للوزراء. وبدأ " أربكان " يبث خطاباً سياسيا جديداً في الأوساط السياسية والعسكرية التركية حول إسرائيل ودورها السلبي في استقرار الشرق الأوسط وأنها أساس عدم الاستقرار في المنطقة(1).

وبشكل عام فإن " الرفاه " في سياسته الخارجية مثل إرادة تركية

(2) رضا هلال، السيف والهلال، تركيا من أتاتورك إلي أربكان، م. س. ذ، ص 179 - 183 وهو أورد ردودا لعبد الله جول حول العلاقة مع إسرائيل يؤكد ما ذكر من أن الاتفاقية وقعت قبل مجئ الرفاه، وتخلي أمريكا عن التعاون مع تركيا إلا عن طريق إسرائيل.

(1) ياسر الزعاترة، قراءة في إجابات أربكان علي امتحانه الأول، **الحياة 1996/8/30**.

جديدة لوصل ماقطعه العلمانيون مع العالم العربي خاصة والإسلامي عامة بحيث تكون تركيا كدولة مسلمة إضافة لمجمل قوة العالم العربي والإسلامي وليست خصماً منه .

8 - لم تستطع الدوائر العلمانية في تركيا استمرار تحمل " أربكان " كرئيس وزراء لحزب ذي توجه إسلامي ومن هنا لجأت قيادات العسكر إلي مؤسسات النظام العلماني الذي يجعل من العسكر هم أصحاب اليد الطولي في النظام رغم أنهم وفق الدستور التركي ممنوعون من ممارسة السياسة.

وبحجة أن " الرفاه " والأصوليين وفق تعبير العسكريين تغلغلوا في مؤسسات الدولة بما يهدد التوجه العلماني لها **فإنهم قرروا عمل انقلاب مؤسسي أو عصري** أو ما يمكن أن نطلق عليه " الانقلاب اللطيف " أو كما يعرف في الأدبيات التركية " بانقلاب مابعد الحداثة "، حيث اجتمع مجلس الأمن القومي التركي الذي يتكون من رئيس الأركان وقادة الأفرع المختلفة للقوات المسلحة التركية وقرر رفع مذكرة إلي رئاسة الوزراء بتوصيات 18 لا بد للحكومة من تنفيذها وهذه التوصيات تصبح ملزمة للحكومـــة إذا وافقت الأغلبية عليها حضر هذا الاجتماع " سليمان ديميريل " رئيس الدولة، و " نجم الدين أربكان " رئيس الوزراء ومساعدته " طانسو تشيلر " وهي وزيرة الخارجية، ووزيرا الدفاع والداخلية ورئيس الأركان والقادة الأربعة في الجيش ورئيس المخابرات العامة، وتمت الموافقة علي التوصيات من الجميع ما عدا " أربكان " ومن ثم تم اتخاذ القرار وعلي

الحكومة أن تقوم بتنفيذه[1]. ظل " أربكان " لا يوقع علي القرار لمدة خمسة أيام زار فيها رؤساء الأحزاب طالباً منهم العون والوقوف معه حماية للديموقراطية التركية من تدخل الجيش والضغط علي الحكومة ولكن لم يستجب لدعوته أحد منهم، فكل الأحزاب اعتبرت أن " الرفاه " في المصيدة الآن ولا بد من الإجهاز عليه[2].

واضطر " أربكان " إلي التوقيع موضحاً أمام قواعد حزبه والقوي الاجتماعية المساندة له أنها مسألة بروتوكولية وأن أمر سن القوانين والتشريع هو بيد البرلمان " وأن الحكومة مسئولة فقط أمام البرلمان[3]، ولكن قوة الدولة التركية بمؤسساتها العلمانية لا يمكن مقاومتها، وهنا لا بد من الإشارة إلي الاجراءات التي طلبها " مجلس الأمن القومي " من الحكومة فهي تبين طبيعة الصراع علي القضايا والأفكار في المجتمع التركي وتمثل عمق أزمة الهوية وتجاذبها بين التيار العلماني الذي يمثله العسكر والمشاركين

(1) عن التفصيلات راجع: جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 72 ومابعدها ورضا هلال، السيف والهلال، م. س. ذ، ص 193 ومابعدها وطارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، ص 130 131.

(2) وهذه أحد مكامن الضعف في الديموقراطية التركية المرتهنة لضغوط العسكر والمؤسسات العلمانية التي تمسك بخناق الدولة التركية، وأحد المشكلات المهمة للنظام الحزبي في تركيا تتمثل في أنه صنيعة العسكر فهم صانعوه ومن ثم يتحكمون فيه، والمحاولات المتعددة للأحزاب العلمانية للتخلص من ضغوط العسكر لم تفلح كما حدث مع وزارة " يلماز " الخامسة والخمسين والتي رضخت لمطالب العسكر في خططهم لمحاربة الإسلاميين.

(3) كان " أربكان " هنا يحاول استعادة الأرض التي اغتصبها العسكر من المؤسسات السياسية التركية، فالحكومة كما هو في أي ديموقراطية مسئولة أمام البرلمان وليست أمام أي جهة أخري تملي التوصيات وتصبح أوامر لا يمكن عصيانها، ومن هنا ففكرة الصراع بين الإسلاميين والعسكر هو في الواقع صراع حول الدولة ومشروعيتها وطريقة إدارتها بحيث يعود العسكر إلي وضعهم الطبيعي الذي يقرره لهم الدستور بعدم التدخل في السياسة وكما أراده " أتاتورك " نفسه وليست فقط مجرد صراع إسلامي - علماني.

فـــــــــــــــي الائـــــــــــــــتلاف مـــــــــــــــع
" أربكان " وبين توجهات أربكان " **الإسلامية هذه الاجراءات هي:**

1/8 - إن مبـدأ العلمانيـة المنصـوص عليـه فـي المـادة الرابعـة مـن الدستور والذي يعتبر من المبادئ التي استقرت في دستور الجمهورية، يجب أن يحمي بكل دقة وعناية وخصوصية، ويجب أن يطبق دون أي تعديل أو تمييز في القوانين الموضوعة لحمايته وإذا ما تبين أن القوانين الموجودة غير كافية عند التطبيق فيجب أن تجري تنظيمات جديدة بهذا الصدد.

2/8 - إن بيـوت الإسـكان المرتبطـة بـالطرق الصـوفية والأوقـاف والمدارس يجب أن يتم انتقالها إلي إشراف وزارة التعليم القومي وفقاً لقـــانون
" توحيد التدريس " وأن توضع تحت رقابة التنظيمات المختصة في الدولة.

3/8 - ومن أجل شحن أدمغة الأجيال الشابة مسبقاً بحب الوطن والأمة وأتاتورك والجمهورية ومن أجل تعليمهم الحقائق المجردة بهدف التعرف علي وسائل النظم الحضارية المعاصرة للأمة التركية ومن أجل حماية هذه الأجيال من تأثير شتي التيارات المتصارعة يجب اتخاذ التدابير التالية:

أ- يجب أن يتم تطبيق نظام التعليم الموحد في ثمان سنوات في كل ربوع الوطن وأن يكون هذا ملزما وإلزاميا.

ب- يجب أن تتخذ كافة التدابير التنظيمية والقانونية والإدارية اللازمة لإظهار وإبداء السيطرة والمسئولية والفاعلية لوزارة التعليم القومي علي

دورات ومجموعات تحفيظ القرآن والتي سيستمر فيها الصبيان الذين أتموا التعليم الأساسي وأن يكون ذلك رهنا برغبة أسرة الصبي ذاتها.

4/8 - إن مؤسساتنا التعليمية القومية المنوط بها تنشئة رجال الدين التنويريين والملتزمين بالنظام الجمهوري والمبادئ والانقلابات الكمالية يجب أن تظل مرتبطة بنظام وروح الاحتياجات المنبثقة عن أصل قانون " توحيد التدريس.

5/8 - إن المنشآت الدينية التي تشيد في ربوع الوطن المختلفة يجب ألا تقام كموضوع استثمار سياسي وهي موضوعة علي الأجندة بهدف توصيل رسائل معينة لأوساط محدودة، وإذا ماكانت هناك حاجة ملحة لمثل هذه المنشآت فعلي رئاسة الشئون الدينية أن تدرس ذلك وتدققه وأن يتم التعاون مع الإدارات المحلية في تحقيقها وتنفيذها.

6/8 - إن الطرق الصوفية التي منع وجودها أصلاً بنص القانون رقم 677 والتي تم توضيح وشرح كافة عناصرها المتعلقة بهذا الموضوع يجب أن تمنع كافة أنشطتها... وأن يتم الحيلولة دون زعزعة النظام القانوني والاجتماعي والسياسي للمجتمع الديموقراطي.

7/8 - إن بعض الأوساط ذات الفعاليات الرجعية حاولت أن تظهر أن القوات المسلحة قد انشغلت بالأمور الدينية مستغلة موضوع خروج بعض الأشخاص من القوات المسلحة التركية لأسباب متعددة ووفقاً لقرارات مجلس الشورى العسكري الأعلي، وانقطاع صلتهم بالقوات المسلحة التركية ولذلك يجب أن توضع تحت الرقابة كافة المنشورات المضادة للقوات المسلحة والمنسوبين إليها.

8/8 - يجب ألا تتاح الفرصة لإمكانية التحريض علي استخدام الأفراد

الذين انقطعت صلتهم بالقوات المسلحة التركية في الهيئات العامة أوفي التنظيمات والمنظمات ذات الأنشطة الرجعية والتي تعمل خارج النظام أو خارج القانون وألا تعطي الإمكانية لذلك.

9/8 - إن التدابير المتخذة في نطاق الموضوعات الموجودة من أجل الحيلولة دون تسرب أو توغل أحد من القطاع الديني المتشدد في القوات المسلحة التركية، يجب أن تطبق في المؤسسات التعليمية المختلفة، وفي كل درجات التدرج الوظيفي الإداري، وفي الهيئات القضائية والتشريعية.

10/8 - ولما كانت هذه المادة بكل تفرعاتها تتعلق بالعلاقات الدولية بين تركيا والدول الأخري فلذلك فإننا لن ننشرها.

11/8 - إن القطاع الديني المتشدد يعمل علي إشعال جذوة الاختلاف المذهبي في تركيا، مما تسبب في استقطاب المجتمع وتمحور البعض حول مذهب بعينه، مما سيفتح الطريق أمام تحول الأمة إلي معسكرات معادية لبعضها البعض ولذلك لابد من الحيلولة دون ذلك بكافة الطرق والوسائل الإدارية والقانونية.

12 /8 - إن التحقيقات الإدارية والقانونية الواجبة في حق المسئولين عن الأحداث التي جرت بشكل مخالف لدستور الجمهورية التركية وقانون الأحزاب السياسية وقانون الجنايات التركي وبخاصة قانون البلديات يجب أن تنتهي في أقصر وقت ممكن، ويجب أن تتخذ كافة التدابير الحاسمة التي تحول دون تكرار ذلك علي كافة المستويات.

13/8 - إن ما يجري مخالفاً لقانون الملبوسات والذي يظهر تركيا علي أنها تعيش خارج العصر الحديث، يجب أن يمنع تطبيقه فوراً، وأن

يطبق بكل دقة في المؤسسات والهيئات العامة وبخاصة تلك التي تقوم بدور ريادي ودون أي تهاون في تطبيق قرارات المحكمة الدستورية والقانون المختص بهذا الصدد.

14/8 - يجب أن يعاد النظر من جديد، وأن تتخذ كافة التدابير من قبل الشرطة و " الجندرمة " حول التراخيص الممنوحة للأسلحة ذات المدى البعيد والقصير والتي منحت لأسباب متعددة وأن تتخذ التدابير اللازمة لتحديد الطلب في هذا الخصوص، وبخاصة يجب أن تدرس وتقيم بعناية فائقة الطلبات المقدمة، والرغبة الفائقة للبنادق التي تطلق القنابل.

15/8 - يجب أن يمنع منعاً باتاً جمع جلود الأضاحي من طرف المنشآت والمنظمات المعادية للنظام من بعيد، والتي أثبتت التجارب أنها تهدف إلي تأمين مصادر مالية لأعمالها، وألا يسمح بجمع هذه الجلود خارج نطاق السلطة التي منحها القانون.

16/8 - يجب أن تنتهي بأسرع ما يمكن التحقيقات القانونية التي تجري بشأن الحراسة التي ترتدي زيا خاصاً بها والمسئولية المنوطة بها وأن يؤخذ بعين الاعتبار الأبعاد الوخيمة التي يمكن أن توصل إليها تلك التطبيقات المخالفة، والخارجة علي القانون، ويجب أن تلغي علي الفور كافة الحراسات الخاصة، التي لم تتوافق أوضاعها مع القانون.

17/8 - إن البعض يستخدم " مفهوم الأمة " بدلاً من " المفهوم القومي " في طرح مشكلات البلاد، والبعض يهدف من وراء هذا الطرح في النهاية إلي التفتيت، وتنظيم الإرهاب وعليه يجب الحيلولة دون شتي الطرق والسبل الإدارية والقانونية

والمداخل التي تشجعهم علي ذلك، وحتي الاقتراب منه.

18/8 - يجب ألا تتاح الفرصة لاستثمار القانون 58 الصادر بشأن الجرائم التي ترتكب ضد " أتاتورك " والأعمال المنافية للاحترام الواجب تجاه " أتاتورك " المنقذ العظيم[1].

كان هذا صعباً علي " أربكان " أن يكتب بيده ما يتناقض مع أفكاره وبرنامجه بل وجهده السياسي والاجتماعي منذ أسس حزب " النظام الوطني " عام 1970 م، وكانت تقديرات العسكر أنه إذا لم يوقف " حزب الرفاه " عند حده لاستطاع أن يحصل علي 65 % من أصوات الناخبين في انتخابات عام 2005 م، وأنه يمكنه تشكيل الحكومة وحده في انتخابات عام 2000 م، وكانت تقارير غربية تحدثت عن خطر " الرفاه " في الحكم لاحتمال اختراقه بني الدولة العلمانية التي تعتبر مع إسرائيل أحد الركائز المهمة للاستراتيجية الغربية في منطقة مهمة ومضطربة هي منطقة الشرق الأوسط[2]، رغم قبول هذه القوي مكرهة بوجوده في السلطة كضمانة لتحقيق الاستقرار السياسي وقطع حد لحالة الفراغ السياسي التي بلغت حد الفوضي لمدة ستة أشهر، وهو ما يعني أن هذه الرؤي الغربية أثرت علي الرؤي العلمانية التركية والتي كانت

(1) هناك العديد من المراجع العربية التي أشارت للاجراءات الثمانية عشرة التي طلبها مجلس الأمن القومي من " أربكان " ولكننا آثرنا الاعتماد علي أحد المراجع المترجمة عن التركية وراجع: صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، م. س. ذ، ص 340 - 344.

(2) خورشيد دلي، **حزب الرفاه التركي: عن استراتيجية التحرير والسلطة**، الحياة 1996/1/24 م وأيضا مصطفي الطحان، **هل جاء وقت الرفاه؟** الحياة 1996/1/14 وأيضا **شكوك غربية حول مستقبل أنقرة في ظل الحكومة الائتلافية الجديدة**، 1996/7/11.

الأساس للانقلاب العسكري علي " حزب الرفاه ".

رابعا: الانقلاب علي الرفاه وأزمة النظام السياسي التركي:

لم يكن ممكنا لما أطلقنا عليه " القلعة العلمانية " أن تدع أبوابها تشرع بسهولة لدخول أول رئيس وزراء إسلامي في تاريخ الجمهورية العلمانية ليتولي الحكم فيها، وهنا بدت العلمانية بوجهها الأيديولوجي الكمالي الذي لا يعترف بالديموقراطية إلا في الحدود التي تحافظ علي الأيديولجية العلمانية، ورغم ماقيل عن تطور مجتمعي وسياسي وحوار حول العلمانية والدولة والمجتمع وحدودها فيما عرف في الأدبيات التركية " بالجمهورية الثانية " إلا أن الأيديولوجية الكمالية العسكرية تظهر أنيابها حينما تشعر بالتهديد من الديموقراطية التي يمكن أن تأتي بإسلاميين إلي السلطة، **إنها يمكن أن تسمح لحزب إسلامي بالوجود في العملية السياسية ولكنها لا تقبل بوصوله إلي الحكم والسلطة ليكون بيده مقاليد الأمور التي تغير وجه تركيا من " الكمالية الأصولية " إلي " العثمانية الإسلامية "**.

خبرة " أربكان " في الحكم أثبتت أن العلمانية التركية هي أقوي من الديموقراطية المقيدة المحكومة بقوة العسكر وبدستور لا يعبر عن المجتمع، وإذا كان هناك توازن حساس في الخبرة التركية بين ماهو مدني وعسكري حيث المجتمع له عافيته وقوته التي تحول دون انفراد العسكر بتسيير شئونه، ولكنه أضعف من أن يلغي دور العسكر في التدخل بالحياة السياسية، **فالدولة قوية في مواجهة مجتمع يحاول أن يسترد إرادته المرتهنة لدي مؤسسات لم يكن له يد في بنائها أو تأسيسها**.

ويعد تصريح رئيس محكمة الاستئناف العليا القاضي " سامي سلجوق " في افتتاح السنة القضائية عام 1999 م ضربة موجعة للنظام الكمالي من داخله ومن صلبه قال: " **إن تركيا لا يمكن ويجب ألا تدخل القرن الواحد والعشرين بدستور قاربت درجة شرعيته إلي الصفر،** والمشروعية هي التصور الأهم لعلم الاجتماع ولعلم السياسة وهي درجتان مشروعية شكلية ومشروعية مادية، الدستور من ناحية شكلية ليس شرعيا، كما لم تبق له أي مشروعية مادية[1].

ويشير إلي أن دستور 1982م وبعد انقلاب 1980 م لم يعد من جانب برلمان أو سلطة تأسيسية منتخبة بالإرادة الحرة للشعب، بل من جانب بعض الأشخاص الذين عينوا حين كان البرلمان مغلقاً ومحظورا عليه العمل السياسي، والدستور نوقش فقط خلف أبواب مغلقة وبتجاهل الشعب الذي أمطر بقوانين منع النقاش، كما أن التصويت حصل بصوت واحد علي الدستور وعلي رئيس الدولة ولم تعد ممكنة بالتالي معرفة نسبة مانال كل منهما علي حدة، فضلاً عن أنه لا يمكن انتخاب رئيس الدولة لأنه لم يكن يوجد سوي مرشح واحد.

وقال: " إن خروج الاستفتاءات بنسبة 93% و 97% أمر معيب في تركيا وبالتالي فإن دستور 1982 م الذي أرغم الشعب علي قبوله بالاقتراع بدلاً من الرصاص هو نوع من الفرمانات وكان سبباً لأزمات سياسية واجتماعية عميقة " وأضاف " **إن تركيا اليوم دولة ذات دستور ولكنها ليست دولة دستورية،** والجمهورية تدير الديموقراطية وليس العكس، وهذا الوضع يجب أن يتغير.

(1) محمد نور الدين، **حجاب وحراب، الكمالية وأزمات الهوية في تركيا**، رياض الريس للبحوث والنشر، 2001، ط1، ص300.

في الجمهورية الدولة تنتج الحقوق، **وفي الديموقراطية الشعب ينتج الحقوق والحقوق تدير الدولة**، الجمهورية تخلق أولا المواطن ثم الفرد، **والديموقراطية تخلق أولا الفرد ثم المواطن**، وانتقد رئيس محكمة الاستئناف التركية دور الدولة قائلاً: إنه في الديموقراطيات تقف الدولة حيادية حيال مختلف الأفكار، والقانون يستخدم للتنافس بين الأفكار في إطار سلمي وليس لمنعها، إن تركيا لا يمكن أن تدخل القرن الواحد والعشرين كبلد يعمل علي سحق الأفراد وكم الأفواه، الشئ الذي يجب أن يعمل هو إلغاء الأحكام المتعلقة بالتهم الفكرية[1].

- بقدر مابدا " أربكان " الباشبكان - أي رئيس الوزراء مختلفاً عن " أربكان- الخوجا - المجاهد " في ممارسته للسلطة ولكن هذا لم يشفع له الاستمرار في السلطة وفق البروتوكول الائتلافي بينه وبين " حزب الطريق المستقيم " فهو أكد في بيانه الوزراي علي مبادئ الجمهورية التي أسسها أتاتورك وفي مقدمتها العلمانية، وحاول أن يظهر تقارباً مع العسكر وقال " الرفاه والجيش يداً بيد " وأن " الجيش هو جيشنا "، وقبل باستمرار " عمل قوة المطرقة الغربية " لمدة أطول، وقبل بالتوقيع علي تسريح بعض الضباط والصف (عددهم 69) من الجيش بسبب أنشطتهم الإسلامية " الرجعية " وفق تعبيرات العسكر والتي لا تتبني نمط الحياة الحديثة[2].

(1) نفس المرجع، ص 301 - 303.

(2) عن تكيف " أربكان " وحزب الرفاه مع الواقع التركي وإعلانه أنه لن يغير الدستور أو النظام السياسي وأنه سوف يحترم الدستور والقانون والعلمانية والكمالية راجع: المسلمون، **الرفاه يخلط الأوراق السياسية في تركيا، 1996/7/11** حيث أشارت إلي أن " أربكان تعهد منذ تكليفه بتشكيل الحكومة في 28 يونية 1996 باحترام المبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية والاقتصاد الحر والتوجه نحو الغرب وأيضا، عبد الإله بلقيز، **تراجع الرفاه عن برنامجه، الحياة،**

- وفي افتتاح المؤتمر السنوي الخامس " لحزب الرفاه " في 13 أكتوبر غير " أربكان " من لهجته وغير شعاراته لكسب ود الغرب، وافتتح رئيس الوزراء المؤتمر وهو في قمة السلطة لأول مرة كرئيس وزراء إسلامي لتركيا منذ قيام الجمهورية وتحت صورة كبيرة لأتاتورك - وهو أمر لم يحدث من قبل في مؤتمرات " الرفاه " - أكد أنه يرغب في لقاء قادة أمريكا والغرب وعزمه التعاون معهم وتوضيح أبعاد زيارته الأخيرة لليبيا التي أثارت موجة استياء داخل تركيا وخارجها وقال " رحلاتنا الخارجية لم تكن موجهة ضد حلفائنا الغربيين ولا ضد الولايات المتحدة

1996/7/12 حيث أشار إلي أن " أربكان " قال إنه يلتزم باحترام المبادئ الديموقراطية والعلمانية لأتاتورك واحترام الاقتصاد الحر والخصخصة والالتزام بالاتفاقيات التي وقعتها تركيا مع الدول الأوربية وإشارته لزيارة " أربكان " لضريح " أتاتورك " مسجلا في التشريفات " إنني مملوء محبة وإيمانا وعزيمة علي تعزيز الجمهورية التركية التي أسستها "، ومحمد نور الدين، **فرصة تاريخية لعقلنة سياسة العلمانيين والإسلاميين**، الحياة، 1996/7/82 حيث أشار إلي تشديد " أربكان " في برنامج حكومته علي حماية المبادئ الكمالية والديموقراطية والعلمنة والاندماج مع أوروبا وراجع ياسر الزعاترة، قراءة في إجابات أربكان علي امتحانه الأول، الحياة، م. س، ذ، حيث يشير إلي موافقة " أربكان " علي استمرار عملية " بروفايد كومفورت " - المطرقة الغربية - انطلاقا من الأراضي التركية ولكنها استغلها في مطالبته بإعادة العلاقات الطبيعية مع العراق واستثنائها من الحصار التجاري والديبلوماسي واستغل الموافقة في زيارته لإيران رغم قانون داماتو " الأمريكي الذي يمنع التعامل معها وقال عبد الله جول " إن تركيا لا تطلب من الولايات المتحدة الإذن فيما يتعلق بكل علاقاتها مع الخارج. ولم تكن هذه هي المرة الأولي التي يوقع فيها " أربكان " علي قرار بتسريح ضباط من الجيش لهم ميول إسلامية فقد اضطره العسكر للتوقيع مرة أخري علي فصل 161 منهم 141 ضابطاً إسلامياً و20 ضابطاً يسارياً وحينها قال ضابط كبير في الجيش التركي " إننا نشكل جيش جمهورية " أتاتورك " العلمانية وصفات جنوده واردة في النظام الداخلي الذي ينص علي أن يكون لعائلات العسكريين نمط الحياة الحديثة " وراجع إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، الإسلام السياسي الجديد، م. س. ذ، ص 108 وص 135.

وأضاف " نحن نعمل باتجاه تحسين الروابط الوثيقة مع الاتحاد الأوروبي ".

- ومن ناحية أخري بدأ يستجيب لما يحفظ له مكانته بين القواعد العريضة التي تدعم " حزب الرفاه " فطالب بتشريع حرية ارتداء الحجاب في دوائر الدولة والسماح للحجاج الأتراك بالانتقال برا إلي مكة المكرمة وذلك توفيراً للنفقات، وبناء جامع في منطقة تقسيم وفي قصر " تشانكايا " الجمهوري وتنظيم دوائر العمل في الدولة في شهر رمضان بحيث تتناسب مع أداء فريضة الصيام ثم أقدم بصفته الرسمية كرئيس للوزراء علي استضافة بعض رؤساء الطرق الصوفية في حفل للإفطار في رمضان رغم أن هذه الاستضافات ممنوعة منذ عام 1925 م.

- ثم أقدم رئيس بلدية " سنجان " التابعة لأنقره بتنفيذ احتفال ديني بيوم القدس في 3 فبراير عام 1997م حضره السفير الإيراني ودعا الإسلاميين في تركيا إلي المضي قدما نحو مسيرة تطبيق الشريعة الإسلامية. وهو ماجعل الجيش ينزل بدباباته في شوارع " سنجان " التي شهدت الاحتفال بيوم القدس في اليوم التالي 4 فبراير 1997 م لإظهار عزم العسكر علي الحزم تجاه مواقفهم الرافضة للتعبيرات الإسلامية التي يقوم بها " حزب الرفاه " حتي لوكانت ذات طابع احتفالي.

وتتالت الإجراءات التي لم تتوقف من جانب العسكر منذ ذلك التاريخ لإخراج " أربكان " من السلطة بل وعقابه بحل حزبه ومنعه من ممارسة العمل السياسي، وصرح القائد الأعلي للقوات البحرية الأميرال " غوفين أركايا " **أن النشاطات الأصولية الدينية أصبحت المشكلة الرئيسية في تركيا** وأضاف " **التهديد الذي يشكله حزب العمال الكردستاني أصبح الآن**

في المرتبة الثانية وتقدمت عليه حركة التطرف الديني ".

- كان " الباشبكان " يحاول المزاوجة بين الإغضاء لمطالب المؤسسة العسكرية وبين مطالب القواعد الجماهيرية لحزبه للاستمرار في السلطة، بيد إن التطورات السياسية في البلاد منذ 28 فبراير كانت تشير إلي مقدمات لا رجعة فيها من جانب المؤسسة العسكرية للانقلاب علي حزب الرفاه فإلي جانب ألـ 18 مطلبا التي تقدم بها مجلس الأمن القومي إلي " أربكان " لإقرارها، لم يتوان " مجلس الأمن القومي " أبداً عن عقد الاجتماعات المتكررة لمتابعة تنفيذه لها، وبدأ " مجلس الأمن القومي " يضع تدابير صارمة ضد المؤسسات المالية الإسلامية ودعا إلي مقاطعتها وعدم منحها أي دعم أو إشراكها في أي مناقصات أو عمليات اقتصادية من الدولة[1].

- وظهر للوجود ماعرف باسم " مجموعة العمل الغربية " BCG - والتي بدأت جمع المعلومات ضد الرفاه والوجود الإسلامي كله في تركيا بطريقة سرية[2].

(1) عن اجراءات الجيش المتوالية ضد الرفاه راجع: جلال معوض، **الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، السياسة الدولية، يناير 1998**، ع 131، ص 115 حيث أشار إلي تهديدات قادة المؤسسة العسكرية بشأن الأصولية الإسلامية كتهديد رئيسي، وأشار إلي فرض قيود علي الدعم المالي الخارجي " للرفاه " عبر الدياسبورا التركية في أوروبا، وإغلاق المدارس الدينية غير الرسمية وحظر توظيف المفصولين من الخدمة العسكرية لنشاطاتهم الإسلامية والالتزام الكامل بالمادة 174 من الدستور المتضمنة للمبادئ الأساسية للجمهورية العلمانية، ص 115.

(2) مجموعة العمل الغربية B.C.G سمع عنها الرأي العام التركي لأول مرة في سياق الصراع بين العسكر والإسلاميين ولم تتضح هويتها فهي مؤسسة غامضة ولا يعرف أهي نابعة من قيادة القوات البحرية أم هي نابعة من رئاسة الأركان العامة ووفقاً للتصريحات التي أدلي بها المسئولون فإن مجموعة العمل الغربية هيئة مرتبطة برئاسة الأركان العامة استخرجت لها مهمة بعد انقلاب 28 فبراير 1997 م فوفقا للمادة 35 من قانون الخدمة داخل القوات المسلحة التركية والتي تنص علي أن مهام القوات المسلحة التركية هي حماية الوطن والجمهورية التركية

وبدأت الصحافة العلمانية تشن هجماتها التي لا تتوقف علي " حزب الرفاه، وربما الإشارة إلي عناوين الصحافة التركية بعد اجتماع مجلس الأمن القومي في 28 فبراير تعطينا **فكرة عن طابع الاستقطاب العنيف بين " الرفاه " من ناحية والمؤسسة العسكرية ومعها أحزاب اليمين واليسار في البرلمان وقوي رأس المال الصناعي والتجاري والمصرفي والإعلام وغيرها** فعناوين الصحف تقول[1] " الجنرالات يرفعون البطاقة الصفراء في وجه أربكان "، و " الجيش التركي يستعرض عضلاته في أنقرة " و " رئاسة الأركان تؤكد أنها لن تنسجم مع العلمانية "، والشرطة تغلق 18 مركزا للتعليم الإسلامي " و " الجنرال " كنعان دينتير " يقول " تحطيم الأصولية الإسلامية في تركيا مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا "، و " الجنرالات غير راضين عن الحكومة الإسلامية " و " مجلس الأمن القومي يتحدي " أربكان " بإصدار تقرير 70 صفحة عن خطر الرجعية في تركيا العلمانية " و " تركيا تواجه إمكان انقلاب عسكري لطرد الإسلاميين من الحكم " و " الجيش يصدر لائحة سوداء بأسماء 600 مؤسسة صناعية وتجارية ويدعو الحكومة والشعب لمقاطعتها " و "

وتأمينها " فأسست هذه المجموعة التي حاولت أن تثبت أنها قانونية بينما الحكومة رأتها غير قانونية. وتهدف هذه المجموعة علي جعل الاستراتيجية القومية و العسكرية غربية وعلمانية وهي معنية بتنفيذ ذلك، وفي سبيل سعيها لذلك صدرت وثيقة سرية متعلقة باحتياجات مجموعة العمل الغربية إلي معلومات والتي صدرت في 5 مايو سنة 1997 م وهي تعيد تقييم وتضع تقارير وتطلب معلومات وبيانات عن جميع الجمعيات والأوقاف والتشكيلات المهنية والمؤسسات التعليمية العليا والإسكان الطلابي " يوردات " والإداريون من ذوي الرتب والدرجات العليا وأعضاء مجالس البلديات والمجالس الإقليمية والتشكيلات المحلية والإقليمية للأحزاب السياسية وهيئاتها الإدارية والمؤسسات الإعلامية كالراديو والتلفزيون وكل هذه المعلومات سرية وراجع:صباح الدين أوتشار، أربكان والتيار الإسلامي، ترجمة الصفصافي أحمد القطوري، م. س. ذ، ص 345 - 348.

(1) راجع هذه العناوين في: www.daawa-info.net/bio.php?id=74، من أعلام الحركة الإسلامية، أربكان.

الجيش يتهم حزب الرفاه علنا بدعم الأصولية والتحريض علي العلمانية " و " محكمة عسكرية تأمر بتوقيف ثلاثة من مرافقي " أربكان "، و " الجيش يهدد باللجوء إلي السلاح لإزالة الخطر الأصولي علي العلمانية " و " الإنذار الأخير من مجلس الأمن القومي لأربكان " و " تنامي قوة الرفاه تهديد للعلمانية "

- وبينما كان " أربكان " في السلطة ورئيساً للوزراء كان المدعي العام التركي " ورال صواش " يتقدم بمذكرة اتهام إلي المحكمة الدستورية تتكون من 18 صفحة في 21 مايو تقول: إن حزب الرفاه بلغ ذروة عدائه للعلمانية، وأنه يجر البلاد إلي حرب أهلية واتهم ضمنا سياسيين ينتمون إلي الحزب بالخيانة وشملت قائمة الانتهاكات ارتداء أزياء إسلامية في الجامعات والدفاع العتيد عن المدارس الدينية ورفض إغلاقها، وقال " عبد الله غول " ردا علي الاتهامات " سنجعل رئيس الادعاء يمثل أمام القضاء، لقد قدم وثائق غير قانونية، **وهذه هي المرة علي الإطلاق التي يقيم فيها مدعي عام دعوى من أجل إغلاق الحزب الذي يتولي السلطة وأكبر حزب في الجمهورية التركية.**

وأمام محاولات الأحزاب العلمانية إحراج حكومة " أربكان " وسحب الثقة منها (10 مرات) وتحريض الجيش عليها بدا أمر استقالة " أربكان " مسألة وقت وأنه لا يمكنه استمرار تحدي الجيش وبقية مؤسسات النظام، وكان استطلاع للرأي في ثلاث مدن تركية هي " أنقره واسطنبول وأزمير " نشرته صحيفة " Turkish DailyNews أفاد بأن 27% من المشاركين يؤيدون إنهاء الائتلاف الحاكم وأكد 66% أن انتخابات مبكرة هي طريق الخروج من الأزمة، واعتبرت النسبة ذاتها أن المدنيين يمكنهم إدارة البلاد بصورة أفضل، ولم تحظ حكومة وحدة وطنية بدعم أكثر من 43% بينما

رفضها نحو 49% وقال 60% إنهم يعتبرون النزعات المادية للعلمانية أخطر من النزعات الانفصالية لحزب العمال الكردي[1].

وفي خضم هذا الاستقطاب الحاد والعنيف عقد طرفا الائتلاف في 1997/6/12 جلسة لمجلس الوزراء للتباحث حول شروط الطلاق الاختياري، وطلبت " طانسو تشيللر " من " أربكان " في هذا الاجتماع أن يتخلي لها عن رئاسة الوزراء لإنهاء النزاع المتفاقم بين الحكومة والمؤسسة العسكرية واحتواء التمرد داخل حزبها وحتي اجراء انتخابات عامة مبكرة في أكتوبر أو ديسمبر عام 1997 م.

ولكن " سليمان ديميريل " وبعد تلقيه استقالة " أربكان " في 1997/6/18 م لم يدع " طانسو تشيلر " - الذي عبر " أربكان " عن ثقته باستمرارها في الحكومة وتمسك طرفي الائتلاف بالبروتوكول بينهما لتمتعهما آنذاك بالأغلبية البرلمانية - لتسلم الحكومة كما كان متفقاً ولكنه قام بتكليف " مسعود يلماز " بتشكيل الحكومة الجديدة في 1997/6/20 م لتتم الإطاحة بحكومة " أربكان " بوسائل غير ديموقراطية تواطأت فيها جميع الأحزاب[1] والمؤسسات ضد استمرار حكم الإسلاميين في تركيا والذي لم يعمر سنة واحدة بسبب الضغوط التي مورست عليه والمراوغات التي واجهها وهو ماكشف عن ثلاثة أمور أساسية هي: الوضع السياسي النافذ للمؤسسة العسكرية في النظام السياسي التركي

(1) يوسف إبراهيم الجهماني، حزب الرفاه، نجم الدين أربكان، م. س. ذ، ص 131.

(1) عن هذه التفصيلات راجع: نفس المرجع، ص 147 - 151 وأيضاً جلال معوض، الأزمة السياسية التركية واحتمالات تطورها، م. س. ذ، ص 116. حيث أشار إلي تواطأ الأحزاب اليسارية علي حكومة " أربكان " باستخدام أساليب غير ديموقراطية منحازة للعسكر وأساليب ديموقراطية شكلية، فقط حزب الوحدة ذي التوجهات الإسلامية هو الذي كان يدعم " أربكان ". ص 117، وأيضا جلال معوض، صناعة القرار في تركيا، م. س. ذ، ص 76 - 78، ص 72.

وهشاشة الديموقراطية التركية واستمرار أزمة الهوية في المجتمع و الدولة في تركيا[2].

- استمرت إجراءات دعوي إغلاق " حزب الرفاه " تجري في مساراتها القانونية رغم استقالة " أربكان " الذي قضي الصيف يعد مع الهيئة القانونية (50 شخصا) التي تولت أمر الدفاع عنه وعن الحزب حتي بدأت جلساتها في 16 ديسمبر 1997 م ومثل " أربكان " أمام المحكمة وأعد دفاعه عن التهم المنسوبة إليه في 415 صفحة، وطوال فترة المرافعة تم الرجوع إلي مايزيد عن 500 مرجعاً تركيا وتمشيط مايزيد عن خمسين مصدراً باللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية، وجابت مجموعة العمل القانونية كل دول أوروبا وأمريكا ووضعت كل ما جمعته من معلومات ووجهات نظر في سكرتارية الهيئة القانونية التي كانت تتابع المهمة.

وبعد أن أتم الادعاء اتهاماته في 11 ديسمبر 1997 م في المحكمة الدستورية العليا بدأ " أربكان " دفاعه في 18 ديسمبر وأتمه في العشرين من نفس الشهر وتحدث إحدي عشرة ساعة في مرافعاته الشفهية وبعد أن حلت شفرات المناقشات والتوضيحات الشفوية لكل من المدعي العام وأربكان وتم إبلاغها لكل الأطراف.. فإن " يوسف أوزتوك " أمين سر الجلسة منذ إقامة الدعوي قد وضع في الاعتبار كل ماقاله كل من " المدعي العام " و " أربكان " وأعد تقريره في أربعمئة وسبعين صفحة وأعلن المتحدث في تقريره عن الدعوي وجهة النظر المؤيدة لإغلاق حزب الرفاه.

(2) نفس المرجع، ص 78.

- وبعد شهر ونصف اتخذ قرار الإغلاق في المحكمة الدستورية العليا بأغلبية تسعة أصوات ضد صوتين برئاسة " أحمد نجدت سيزار " وذلك يوم 16 يناير 1998 م وأعلن رئيس المحكمة الدستورية العليا القرار في مؤتمر صحفي ومعه كل أعضاء المحكمة، وطبقا للقرار فإن عضوية " المجلس الوطني الكبير " ستسقط عن " أربكان " الرئيس العام للحزب وعن الأعضاء " شوكت قازان " و " أحمد تكدال " و " شوقي يلماز " و " حسن حسين جيلان " و " إبراهيم خليل جليك " عقب نشر القرار في الجريدة الرسمية - بعد شهر - من إعلان الحكم - ويمنع هؤلاء الأعضاء لمدة خمس سنوات ومعهم " شكري قره تبه " رئيس البلدية الرئيسية في " قيصري " من ممارسة النشاط السياسي طوال خمس سنوات، كان قرار الإغلاق غير متوقع من جانب أعضاء " الرفاه " ولكنهم ظلوا متماسكين في مواجهته[1].

(1) هناك مراجع عدة تحدثت عن هذه التفصيلات لكنا آثرنا هذا المرجع لترجمته عن التركية ولتضلعه في المتابعة والمعلومات وراجع: صباح الدين أوتشار، أربقان والتيار الإسلامي، ترجمة وتقديم الصفصافي أحمد، م. س. ذ. ص 351 - 361 وعن إضمار حل الحزب راجع: تصريحات " أحمد نجدت سيزار " بعد توليه رئاسة المحكمة الدستورية العليا حيث قال: إنه لا يعتزم التنازل أو الأخذ بالحلول الوسط في مواجهة الأصولية وحزب الرفاه، وقال " ستواصل المحكمة العليا النهوض بواجباتها دون تقديم أي تنازلات بشأن المبادئ التي وضعها أتاتورك " للدولة الوطنية والديموقراطية والعلمانية. وانتخب " سيزار " رئيساً للمحكمة الدستورية العليا في جولة رابعة بأغلبية ستة أصوات فقط من مجموع 11 هم هيئة المحكمة دون رئيسها، وهو كان عضوا في المحكمة الدستورية منذ عام 1988 م، وهو جاء خلفا للقاضي يكتا جونجور أوزدن " المعروف بصلابة تشيعه للكمالية وراجع الشرق الأوسط، الرئيس الجديد للمحكمة الدستورية التركية يزايد علي سلفه في الولاء للأتاتوركية، 1998/1/7 وعن ردود الفعل علي قرار الحل راجع الحياة، 1/18م1998 بعنوان **الحياة في اسطنبول مدينة هادئة ولا شئ فيها يذكر بالجزائر، أهل الرفاه يشعرون بالرضا لأن قرار المحكمة كان** معتدلا والشرق الأوسط،

- عقب نشر قرار المحكمة الدستورية العليا بإغلاق " حزب الرفاه " في الجريدة الرسمية التي صدرت بتاريخ 22 فبراير سنة 1998 م انتهي الوجود القانوني له وجاءت حيثيات إغلاق الحزب في 329 صفحة كاملة، بينما جاءت حيثيات عدم الإغلاق من العضوين اللذين عارضا الإغلاق ضعف حيثيات الحكم بالإغلاق **وجاء نص قرار المحكمة الدستورية العليا كما يلي:**

- نظراً لأعمال المخالفة لمبدأ العلمانية للجمهورية فقد تقرر إغلاق " حزب الرفاه " حسب المادة 68 و69 من الدستور وحسب البند ب من المادة 101 والفقرة أ من المادة 103 من قانون الأحزاب السياسية بأكثرية الأصوات مع صوتين معارضين للإغلاق هما صوتي " هاشم قليج " وساجد آدالي " [1].

- ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها " نجم الدين أربكان " نائب محافظة " قونية " و " شوكت قازان " نائب محافظة " قوجه لي " و " أحمد تكدال " نائب محافظة " أنقرة " و " إبراهيم خليل تشليك " نائب محافظة " شانلي أورفه " والتي أدت إلي إغلاق الحزب بسبب مخالفتها لحكم الفقرة الأخيرة من المادة 84 من الدستور فقد تقرر بالإجماع إبطال عضويتهم في المجلس النيابي حال نشر هذا في الجريدة الرسمية.

- ونظراً للتصريحات والنشاطات التي قام بها أعضاء الحزب " نجم الدين أربكان " و " شوكت قازان " و " أحمد تكدال " و " شوقي يلماظ

1998/1/16 والحياة 1998/1/17 م **اجراءات للجيش بعد حل الرفاه، والمسلمون 1998/1/24 تركيا بعد حل حزب الرفاه.**

(1) طارق عبد الجليل، الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة، م. س. ذ، ص 153

" و " حسن حسين جيلان " و " إبراهيم خليل " و " شكري قره تبه " والتي أدت إلي إغلاق الحزب حسب الفقرة الثامنة من المادة التاسعة والستين من الدستور فقد تقرر بالإجماع حرمانهم من تأسيس أو عضوية أو إدارة أو رقابة أي حزب سياسي مدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ نشر القرار في الجريدة الرسمية.

- **تقرر بالإجماع استمرار التدبير المتخذ بتاريخ 1998/1/12 م " إغلاق حزب سياسي " القاضي** بعدم تسديد مبلغ 1 تريليون و236 مليون ليرة (5 مليون دولار) إلي الحزب حتي نشر هذا القرار في الجريدة الرسمية[1].

وعن الأسباب الموجبة لحظر النشاط السياسي لأعضاء الحزب المشار إليهم فمنها بالنسبة " لأربكان " استضافته لزعماء طرق دينية محظورة أساساً علي مائدة الإفطار والإدلاء بتصريحات تشير إلي احتمال استخدام العنف للوصول إلي السلطة حيث قال " سنصل إلي السلطة ولا نعرف ما إذا كان سيتم بشكل دموي أو غير دموي. وفيما يتصل " بشوكت قازان " نائب رئيس " حزب الرفاه " و وزير العدل سابقاً مطالبته في يوليو 1996 م بتدريس العلوم الدينية والأخلاق داخل السجن وبالنسبة " لأحمد تكدال " (زعيم حزب الرفاه منذ تأسيسه وحتي عام 1987م) اعتباره أن اسم الكادر السياسي الذي يريد تأسيسه " نظام الحق " في تركيا هو " حزب الرفاه " وبالنسبة " لشوقي يلماظ " إعلانه أنه سيحاسب كل من لا يأخذ صلاحياته من رسول الله " صلي الله عليه وسلم " وبالنسبة

(1) نفس المرجع، ص 163.

" لحسن حسين جيلان " قوله عام 1992 م عندما كان في " هولندا " " استولينا علي الجامعة وخدعنا " أجاويد " وفتحنا مدارس الأئمة والخطباء ولو كانت خطتنا بشأن المدارس العسكرية تحققت لكانت الدنيا تغيرت "، وبالنسبة لإبراهيم خليل تشليك " قوله " إنه إذا أغلقت معاهد الأئمة والخطباء الدينية فسوف تراق الدماء وستكون تركيا أفظع من الجزائر "، وبالنسبة " لشكري قره تبه " قوله " إن هذا النظام يجب أن يتغير " [1].

خامسا: قرار إغلاق الرفاه وأزمة الديموقراطية التركية:

لعل الإشارة إلي حيثيات قرار المحكمة الدستورية بالإغلاق وحيثيات من رفض من أعضائها قرار الإغلاق تشير إلي عمق أزمة الديموقراطية في تركيا والتي تتمثل بشكل أساسي في تنصيب الدولة لنفسها بحسبانها " نصف إله " وأنها المجسدة للأيديولوجية " الأتاتوركية " التي تعبر عن المصلحة القومية العليا للبلاد والعباد وفق دستور وضعه الجيش عام 1982 م ولكنه لا يعبر عن الشرعية أو الدستورية.

وكما عبر " جنكيز تشاندار " علي قرار إغلاق " الرفاه " وإنهاء وجوده السياسي قائلا " بداية كنت خططت لإلقاء نظرة علي قانون الأحزاب وعلي المواد 68 و 69 من الدستور ثم صرفت النظر عن ذلك لأن القانون في الواقع شكلي وكل ما جري كما يعلمه الجميع أو يستشفونه أمر " سياسي " وأكد مراراً رؤساء الهيئات القضائية أنفسهم أن التحكيم

(1) نفس المرجع، ص 136 - 138 ونص قرار الإغلاق أورده أورخان محمد علي، قصة حزب الرفاه، م. س. ذ، ص21 وسنورده بنصه كملحق في نهاية الرسالة. وبذلك يكون هذا هو الحزب الذي تم إغلاقه لحركة " الملي جوروش " والحزب الثالث والعشرين الذي يتم إغلاقه في تركيا منذ العام 1968 م. وعن الأسانيد الواهية التي تضمنتها أوراق الدعوي لغلق الحزب راجع: نفس المرجع، ص 18.

غير مستقل في تركيا، والتحكيم مثل التشريع تحت إشراف التنفيذ ومقصدنا من التنفيذ ليس الحكومة أو ما شابه ذلك.. **فالحكومة هي كمبارس التنفيذ الموضوع علي المسرح لكي يقوم بدورها ويحل محلها في التنفيذ كالمنفذ بلغة الموضة اليومية هو " الدولة الخفية "** (1).

- ففي حيثيات قرار الإغلاق قالت المحكمة الدستورية: " الرفاه " أغلق بسبب نشاطاته المعارضة للعلمانية، وأربكان " استمر في تصميمه علي أن يجعل استقلال الدولة معتمداً علي القوانين المنبثقة من الدين منذ تأسيسه حزب النظام عام 1970 " و " أربكان " وكل إداريّى الحزب بهدف جمع أصوات الناخبين كانوا في كل خطبهم يدعون أن الحجاب والنقاب وغطاء الرأس هي من الحقوق القانونية التي يجوز تلقي العلم والعمل بها وأن غطاء الرأس لا يعيق ذلك....

وأربكان " في إحدي خطبه قال: " نريد إزالة التحكم والسيطرة، يجب أن نعيش نظام تعدد الحقوق، ونحن عندما نأتي إلي الحكم سنجعل المسلم يمكنه أن يعقد قرانه عن طريق المفتي أو يعقده في الكنيسة إن كان مسيحيا.. وهذا يهدد التجانس القومي.... والشخص الذي يحمل صفة الرئيس العام للحزب الذي يتولي مقاليد السلطة يجب عليه أن يكون حريصاً في أقواله وأفعاله أكثر من غيره عندما يرد أي أقوال تتعارض مع العلمانية والشخص الذي يكون رئيساً للوزارء والمنوط به تحقيق مبدأ العلمانية الذي استقر في الوجدان منذ أن تأسست الجمهورية التركية عندما يقوم هذا الشخص بدعوة أناس يرتدون ملابساً تتعارض مع مبدأ العلمانية

(1) صباح الدين أوتشار، أربقان والتيار الإسلامي، م. س. ذ، ص 377.

هذا وتطبيقاته علي وليمة إفطار في مبني ضيافة رئاسة الوزراء فإنه بذلك يكون قد امتهن مبدأ العلمانية ويكون هو وهم قد عبروا عن رفضهم لهذا المبدأ، ورئيس الوزراء بتصرفاته هذه يكون تصرف تصرفاً يتعارض تماماً مع العلمانية(2).

- وعن حيثيات عدم الإغلاق من جانب عضو المحكمة الدستورية العليا " هاشم قليج " فقد قال " **حرية التعبير عن الفكر إحدي الركائز المهمة في المجتمع الديموقراطي** حتي لو سببت إزعاجاً أو غضباً أو حتي صدمة للدولة وبدون أخذ حرية التعبير في الاعتبار لا يمكن التفكير في مجتمع ديموقراطي بأي شكل كان.

وعن الملابس وشكلها في المؤسسات التعليمية العليا قال " **إنها متروكة للقيم الاجتماعية والثقافية والرؤية الشخصية والنضج والأعراف والمعتقدات الإيمانية** ذلك لأن الجامعات مؤسسات ذات طبيعة استقلالية وأنه أنيط بها حرية الفكر، والفكر الحر والبحث الحر واتخذ أساساً في بنيانها تشكيل حرية التصرف ومن هذا المنطلق فإنه يمكن أن يكون فيها بعض الأشخاص الذين من الممكن أن يرتدوا ملابس وفقاً لمعتقداتهم ولا يمكن أن يأتي هذا أو يجري وفقاً لمفهوم " انطلاقاً من الدين "... وأضاف " **الدولة الديموقراطية هي الدولة التي يمكن أن يعيش شعبها لفترة ما في سلام بالرغم من وجود تباين وفروق بين هذا الشعب لحدما**.. ولا يمكن الحديث عن الديموقراطية في بلد يعتمد علي الفكر الأحادي ".

أما عضو المحكمة الدستورية العليا " ساجد أدالي " فقد قال " إن

(2) نفس المرجع، ص 362 - 366.

النظام الذي يحكم علي الحزب الذي يحاول إثبات اتجاهاته بالغلق لا يمكن أن يكون مع الديموقراطية " [1].

- إذن إغلاق " حزب الرفاه " أعاد السؤال حول مشروعية الجمهورية التركية وحول هويتها وطريقة تنظيمها من جديد حتي أضحت تعبيراً عن قلق مجتمعها الذي ضاق ذرعاً باستبدادها وصلافتها وطغيانها وتسلطها وتصلبها.

ومن هنا فإن إسلامي تركيا ممثلين في الرفاه " **كانوا تعبيراً عن الرغبة في النهوض بتركيا نحو وضع يكون أكثر تعبيراً عن الديموقراطية والحداثة، بينما كانت النخب القديمة والتي كان يصفها " أربكان " بالتقليدية أكثر تعبيراً عن الاستبداد والعلمانية المتخلفة** التي تعبر عن " أيديولوجية أصولية فاشية " ترفض الرأي الآخر وترفض حرية التعبير وترفض التداول علي السلطة وحق الناس في الاختيار.

كان " الرفاه " يناضل من أجل علمانية متسامحة لا تنكر علي الناس حقهم في التعبير وفي الاختيار وفي التنوع والتعدد بينما كانت النخب التقليدية أتباع " أتاتورك " تصر علي علمانية أحادية تجاوزها الزمن ترفض حق الناس في حريتهم الفكرية والاعتقادية وترفض حريتهم في اختيار ملابسهم وترفض حقهم في نوع التعليم الذي يريدونه إنها علمانية شاملة

تريد نزع القيم عن الحياة وليست حتي علمانية جزئية تقبل بفصل الدين عن الدولة[1]. لقد كانت معركة إغلاق " حزب الرفاه " صراع علي الهيمنة

(1) نفس المرجع، ص 367 - 372.

(1) عن موقف الرفاه من العلمانية راجع: حوارنا مع " أربكان " في أنقرة أواخر عام 2003 م، حيث أشار إلي أن العلمانية الكمالية إكراهية وليست كالعلمانية الغربية محايدة، لذا فهو يرفض

السياسية اتخذ في المقام الأول شكل حرب ثقافية بين النخبة الإسلامية والكماليين حول استمرار نظرة الجمهورية العلمانية كما حددتها النخب القديمة.

العلمانية الكمالية ويطالب بعلمانية تحترم الاعتقاد وكان يطالب بإضافة احترام حق الناس في الاعتقاد إلي المادة 24 من الدستور التركي، وهو يطالب بحق المسلمين في ممارسة عقائدهم والتعبير عنها واحترامها وتنظيمها في دولة علمانية لا تسمح بهذا، ورجائي قوطان مثلا لا يري فصلاً بين الدين والدنيا أي يرفض العلمانية الشاملة ولكنه يقبل بالفصل بين الدين والدولة علي أن تسمح الدولة للناس بالتعبير عن معتقداتهم، حوارنا مع رجائي قوطان " رئيس حزب السعادة اليوم وأيضاً محمد نور الدين قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص 61 - 62، ويلاحظ أن الرفاه لا يرفض العلمانية مطلقاً ولكنها يرفضها في تطبيقها التركي الذي يحرم المسلمين هناك من حقهم في التعبير عما يعتقدون ولذا فهم يتحدثون عن تطبيقات غربية للعلمانية تدع الناس وما يدينون. فالعلمانية التركية تمنع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب في الجامعات والمؤسسات الرسمية وقضية " مروة قاوقجي " نائبة حزب الفضيلة والتي هزت أركان العلمانية التركية عنوان لذلك، وتتحدث المصادر عن امتداد منع الحجاب لخارج المؤسسات الرسمية في الشارع مثلا فقد منع موظفون من التعيين في دوائر الحكومة بسبب ارتداء زوجاتهم للحجاب، هنا العلمانية بوجهها القمعي والاستبدادي تتناقض مع الديموقراطية والرفاه يريد الوجه الديموقراطي للعلمانية الذي يدع الناس وما يؤمنون، وفي بعض أحاديث أهل الرفاه عن العلمانية اعتبروا أن الإسلام تعبيراً حقيقيا لها فهو أعطي مخالفيه كافة حرياتهم الدينية والثقافية، وفي سياق تأمل الوضع العجيب في تركيا والذي جعل إسلاميًا يتحدث عن علمانية تحترم الدين وهو ماجعل البعض يتحدث عن " **العلمانية المؤمنة** " أي التي تجمع بين فصل الدين عن الشأن العام ولكنها في نفس الوقت تحترم الدين وتقر بأهميته في تحقيق النهوض الاجتماعي، ويعد العدالة والتنمية تعبيراً عن ذلك، فالديموقراطية المحافظة التي تعبر عن أيديولجية الحزب تقبل بالعلمانية بمعني فصل الدين عن الشأن العام ولكنها في نفس الوقت تدعو إلي أهمية الدين والقيم الدينية وعن هذا المصطلح راجع مثلا: صلاح الدين الجورشي، الرسالة التركية: **العلمانية المؤمنة مقابل الدولة الإسلامية**، الحياة 2002/12/5 وعن مدي التباس مصطلح العلمانية وعلاقته بالدين راجع، إبراهيم إبراش، الأصولية والعلمانيةwww.sis.gov.ps/arabic/roya/archiv، وعن فشل العلمانية التركية واعتبار الإسلام أحد أهم القضايا التي ينبغي طرحها في قضية انضمام أوروبا للاتحاد الأوربي راجع: جاكومو لوتشياني، International Politik فبراير، 2003 ترجمة عارف حجاج. وعن أفول العلمانية راجع جون فول، **الإسلام ونهاية العلمانية**، الجزيرة نت، 2004/7/9، وعن تحولات العلمانية الفرنسية راجع حسن السرات، **تجديد العلمانية الفرنسية بين الديني والسياسي**، الجزيرة نت، 2005/8/8.

- لم يزعج أمر إغلاق " حزب الرفاه " زعيم الحركة الإسلامية ذات الوجه السياسي في تركيا فلم تكن هذه هي المرة الأولي التي يغلق فيها حزب لحركته الاجتماعية الممتدة " الملي جوروش "، فقد أغلق العسكريون " حزب النظام الوطني " بقرار من المحكمة الدستورية العليا في 20 مايو 1971 م بعد الانقلاب الأول الذي قاموا به في مارس 1970 م، بحجة معارضته لأسس النظام العلمانية، وكان هذا هو أقل الأحزاب التي أسسها " أربكان " عمرا، فقد أسسه في يناير عام 1970م.

ولكنه سرعان ما عاد من سويسرا إلي تركيا وأسس في 11 أكتوبر 1972 م حزب السلامة الوطني ليعبر عن رؤية أكثر صلابة وتجذرا في الواقع التركي الذي اقترب وتماس بقوة من الإسلام في فترة السبعينيات ودخل حزب السلامة الانتخابات مرتين كأول حزب إسلامي يعبر عن العودة إلي الإسلام ويطالب بأن يكون للإسلام دور في الحياة العامة وفي النظام السياسي وفي المرة الأولي حقق 11.8% من الأصوات في الانتخابات البرلمانية و12.3% في انتخابات مجلس الشيوخ، وفي المرة الثانية في انتخابات 5 يونية المبكرة حصل علي 8.6%، وشارك حزب السلامة في 3 ائتلافات حكومية الأولي في 26 يناير 1974 م مع خصمه اللدود حزب الشعب حيث تولي " أربكان " نائب رئيس الوزراء في حكومة " بولنت أجاويد " وشارك بـ 6 حقائب وزارية، والثانية مع " حكومة الجبهة القومية الأولي " 31 مارس 1975 م وكان " أربكان " نائباً لرئيس الوزراء وكان لحزب السلامة 7 وزراء والثالثة مع " حكومة الجبهة القومية الثانية " في 21 يوليو 1977وكان " أربكان " نائب رئيس الوزراء ولحزب السلامة الوطني 6 وزارات، وأغلق حزب السلامة بعد انقلاب 12 سبتمبر 1981 م بدعوي تهديد النظام العلماني ووقف

الأصولية الإسلامية.

وسرعان ما عادت حركة " الملي جوروش " لتعبر عن نفسها من خلال حزب الرفاه عام 1983 م[1].

إغلاق حزب يعبر عن الحركة الإسلامية التركية لا يعني توقف التعبير السياسي للإسلام عن الوجود أو انتهاء تمثيله في الحياة الحزبية ولـــــــــــــــــــــــــــــــذا قـــــــــــــــــــــــــــــــال " أربكان " بعد إغلاق الرفاه: " **إن إغلاقه لا يعد في نهاية الأمر كونه نقطة بسيطة في مجري أحداث التاريخ وأنه لن يبطئ عجلته** " وعقد مؤتمراً صحفياً قال فيه " إنه يحترم قرار المحاكم حتى لو كانت قراراتها خاطئة ودعا أعضاء حزبه إلي التزام الهدوء و الحذر واليقظة من محاولات شق الصفوف واختلاق الفتن، وقال: إن قضية وعقيدة الرفاه هي قضية الأمة بأسرها وأن الشعب التركي أثبت في كل مرة أنه يقف مع المظلوم، وأوضح أنه سيلجأ إلي المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان وأنه علي يقين من نقضها لحكم المحكمة الدستورية العليا التركية، وأضاف " إن إغلاق " الرفاه " لن يؤدي إلا إلي تسريع صعود الحزب الإسلامي المقبل إلي السلطة.

وأعطي " أربكان " تعليمات صريحة بعدم ردود الأفعال المتطرفة والمندفعة من جانب أنصاره[1] ووجه مصدر رفاهي بارز ما أسماه " رسالة إلي أصدقاء الرفاه العرب " قال فيها " اطمئن إخواني العرب أن لا يقلقوا علي مستقبل " الرفاه " عندما يلاحظون عدم حصول رد فعل من

(1) عن تحولات حركة " الملي جوروش " واتخاذها أشكالا لتنظيمات سياسية متعددة راجع: محمد نور الدين، قبعة وعمامة، م. س. ذ، ص 83 - 88.

(1) المسلمون، **تركيا بعد حل حزب الرفاه** / 1998/1/42.

أنصار " الرفاه " من تظاهر وخلافه[2]، لقد شكونا أمرنا للشعب التركي وهو متضامن معنا ولن نعطي الفرصة للقوة التي تريد دفعنا للصدام والتطرف ".

وبالطبع عبرت العواصم الغربية عن رفضها لحل " الرفاه " فقالت " مادلين أولبرايت " وزيرة الخارجية الأمريكية " إن هذه الخطوة ستلحق الأذي بالديموقراطية في تركيا " وأعلنت " بريطانيا " التي تترأس الاتحاد الأوروبي أنها ستبحث مع شركائها الأوربيين في اتخاذ موقف مشترك " [3].

- تحول أعضاء " الرفاه " إلي أكبر كتلة برلمانية ولكنهم مستقلون(150) نائباً وأشارت مصادر الرفاه إلي أن هناك حزب جديد سيتأسس ليعبر عن تيار الفكر الوطني " الملي جوروش "، وبالفعل تأسس " حزب الفضيلة " FP بقيادة " إسماعيل ألبكتين " قبل قرار إغلاق الرفاه في 17 ديسمبر 1997م، و انتقل إليه كل أعضاء " الرفاه " وأعلن " سليمان ديميريل " أن الحزب الجديد لا يعد امتداداً للرفاه، وأن الأعضاء الذين لم يشملهم قرار حظر العمل السياسي يمكنهم الانضمام لأي حزب أو تشكيل حزب جديد،

(2) الحياة، تركيا: **اجراءات للجيش بعد حل الرفاه، 1998/1/17** وكانت ندوة عن الوضع التركي عقدت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية أثار فيها المشاركون المصريون استغرابهم الشديد من رد فعل مؤيدي الرفاه تجاه قرار الحل والإغلاق وأنهم لم ينزلوا إلي الشوارع كما حدث مع جبهة الانقاذ في الجزائر حين ألغيت نتائج الانتخابات البرلمانية من قبل العسكر لمنع وصولهم إلي السلطة، ولكن الفرق هنا يعود فيما نطلق عليه " الثقافة التركية " أو " المزاج التركي " الذي يصدر عن عقل عميق ورث تقاليد عميقة هي تقاليد امبراطورية كبيرة هي الدولة العثمانية وراجع في هذا كمال حبيب، الحركة الإسلامية القلقة من أربكان إلي أردوغان، م. س. ذ.

(3) فهمي هويدي، **لماذا الأسف الغربي علي حل الرفاه**، الأهرام، 26 /1/ 1998 م.

وأصبح حزب الفضيلة هو الكتلة النيابية الأكبر في البرلمان التركي[1].

وتخلي " إسماعيل ألبكتين " عن رئاسة الحزب ليفسح المجال أمام " رجائي قوطان " الذي أصبح رئيساً لحزب الفضيلة في المؤتمر الطارئ للحزب والذي انعقد في 1998/5/14 م، ثم جدد الحزب انتخابه مرة أخري في المؤتمر المنعقد في 2000/5/14 م في مواجهة " عبد الله جول " الذي كان يعبر عن جيل جديد داخل الحركة الإسلامية يري أنه قد اكتمل عوده السياسي ليتولى هو مقاليد توجيه الأمور داخل الحركة الإسلامية التركية[2].

- هذا في الواقع تعبير عن طموحات جيل الوسط داخل التيار الإسلامي في أن يصبحوا هم ربان السفينة التي يعتقدون أنها بحاجة إلي ملاح من طراز أكثر وعيا وخبرة بمشاكل الواقع من جيل الشيوخ. وهم يعتقدون أن حالة تركيا ذات وضع خاص تحتاج إلي نوع مختلف من الاجتهاد السياسي الجديد عن ذلك الذي قدمه جيل الشيوخ " أربكان والذين

(1) بعد دخول حكم المحكمة الدستورية العليا حيز التنفيذ بعد نشر قرار حل " الرفاه " في الجريدة الرسمية بتاريخ 22 فبراير 1998م، انتقل أعضاء الرفاه الذين أصبحوا في حكم المستقلين إلي حزب الفضيلة الذي أصبح يملك أكبر كتلة برلمانية في البرلمان التركي (140 نائبا) وراجع الأهرام، **الرفاه صار تاريخاً.. والفضيلة قادم مع التعديلات، 1998/3/3 م**

(2) كان من الواضح لدينا أنه بعد حل الرفاه وجد تيار داخل حركة " الملي جوروش " من الشباب الذين يعرفون داخل الحركات الإسلامية بجيل الوسط تكون لديهم وعي مختلف بطبيعة المشاكل التي تواجهها تركيا وأن طرائق " الرفاه " التي تعتمد علي المواجهة مع العسكر الذين يمثلون القوة الرئيسية في النظام السياسي لن تنجز للحركة الإسلامية أو لتركيا الآمال المعلقة علي نهضتها، وظل هذا التيار المهم الذي اكتسب شعبية كبيرة لدي المواطنين الأتراك عبر ممارسته في البلديات التركية منذ عام 1994 م يحاول أن يخفي خلافاته مع الجيل القديم " جيل الآباء " بيد إن الانتخابات الداخلية لحزب الفضيلة عام 2000 والتي جاءت " برجائي قوطان " رئيساً للحزب عمقت القناعة لدي جيل الوسط بضرورة الانفصال عن " الملي جوروش " وتأسيس حزب جديد وجاء قرار المحكمة الدستورية العليا بإغلاق حزب الفضيلة ليجعل من ذلك أمرا محسوماً لا رجعة فيه ومن هنا كان ميلاد " حز ب العدالة والتنمية " الذي يحكم تركيا اليوم.

معه "، وجاء إغلاق " حزب الفضيلة " في 2001/6/22 م ليؤكد اقتناع جيل الشباب الذين يطلق عليهم في تركيا " المجددون المعاصرون " بأن المسيرة التي قادها " نجم الدين أربكان " منذ عام 1970 م بحاجة إلي مراجعة وإعادة نظر في ظل السياق التركي المعقد والذي تعرف دولته العلمانية العنيدة " بالدولة الخفية " كما عبر " جانكيزشاندار ".

تحتاج هذه الدولة إلي إعادة ترتيب قواعد اللعبة السياسية من جديد داخل الحالة الإسلامية السياسية ومن هنا كان تأسيس هذا الجيل الجديد لحزب جديد هو حزب " العدالة والتنمية " وهو الحزب الذي يحكم تركيا اليوم منذ عام 2002 م بأغلبية لم تعرفها تركيا - 363 مقعدا منذ الحزب الديموقراطي في الخمسينيات لتحظي لأول مرة منذ انقلاب عام 1960 بنظام حزبي مريح حيث يوجد حزب يمثل قلب اليمين التركي ومركزه بامتياز ومعارضة يعبر عنها حزب يساري.

ويعبر حزب اليمين " العدالة والتنمية " الذي يصف نفسه بأنه تعبير عـــن " الديموقراطية المحافظة " ومن ثم فهو يعبر **عن الإسلاميين وجمهور الرفاه القديم كما يعبر عن القطاعات المؤيدة لأحزاب اليمين القديمة التي انهارت ولم يعد لها وجود مثل " الوطن الأم " والطريق المستقيم ".**

إن حزب العدالة والتنمية استطاع أن يحقق ما كان " الرفاه " يسعي إليه وهو اختراق أحزاب اليمين التركي التي تضم داخلها دائما قطاعات متدينة ومحافظة ليصبح هو المعبر عنها. ويبدو لي أن جيل الوسط التركي ورث تفكير " شيوخ الحركة " واستوعبه ولكنه امتلك تكتيكات وإدراك للواقع ووعي به ومعرفة قيوده وحدوده التي لم يكن يمتلكها جيل الشيوخ في الحركة الإسلامية التركية.

ويظل " الفكر الملي " الذي أرسي بذوره " أربكان " متجذرًا بقوة في الواقع التركي ومرشح للعودة مرة أخري ولكن ذلك مرهون بقدرة جيل الوسط الحاكم اليوم في تركيا علي الوفاء بمتطلبات المزاج التركي الحساس للفساد والإصلاحات الاقتصادية والسياسية والحرية والعدالة، فحزب السعادة الذي لم يحقق أي إنجاز يمكنه من دخول البرلمان أو الحصول علي نصيب من البلديات لا يزال مرشحاً لأن يكون خياراً للمواطن التركي في حالة عجز " العدالة والتنمية " أن يوفي بمطالب المواطن التركي. فالتصويت العقابي يصلح بامتياز تفسيراً لسلوك المواطن التركي في الانتخابات خاصة وأن هذا المواطن الذي عاش في ظل حكم علماني طويل لا يحبذ صيغة المواجهة والاستقطاب بين الجيش الذي لا يزال يحظي بثقة المواطن التركي وبين حزب الأغلبية في البرلمان.

* * *